التعليقات

على متن

اللامية

المنسوبة إلى شيخ الإسلام
ابن تيمية

إعداد
محمد بن عبدالله الهبدان
عفا الله عنه




محفوظة
جميع الحقوق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا تعليق مختصر مفيد على **المنظومة اللامية المنسوبة إلى شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كتبته لطلاب العلم في المرحلة الأولى من الطلب، وهي الفئة المستهدفة في سلسلة الدروس العلمية التي أعزم على إخراجها بإذن الله تعالى.

وقد اخترت هذه المنظومة لهذه المرحلة؛ لاشتمالها على جملة من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، مع اختصار عبارتها وسهولة نظمها، وحاجتها إلى بسط يسير وشرح يقرّب معانيها إلى المبتدئ، ويعينه على فهمها وحفظها.

ونسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل نافعًا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجعله

معينًا لطلاب العلم على فهم عقيدة أهل السنة والجماعة، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .

محمد بن عبد الله الهبدان

٥ جمادى الأول ١٤٤٨هـ

الرياض - حي السلام

❊❊❊

تمهيد

أولًا: سبب التسمية

سُمِّيت (لامية)؛ لأن حرف اللام هو رويُّ أبياتها، أي الحرف الذي تتكرر عليه القافيـة في أواخر الأبيات. وهذه طريقة معروفة عند أهل الأدب في تسـمية القصائد والمنظومات بحسـب حرف رويها، فيقال: النونية، واليائية، واللامية، ونحو ذلك.

فـ«اللاميـة» هنا وصـف باعتبـار القافية، وليس اسـمًا خاصًا بالمنظومة من جهة مؤلفها.

ثانيًا: عدد الأبيات

هذه المنظومة سـتة عشر بيتًا، وهو العدد الذي اشتهرت به في نسـخها وشـروحها المطبوعة، وقد نص على ذلك من اعتنى بها من أهل العلم.

وهـي منظومـة مختصرة في الاعتقاد، اشـتملت على مسـائل من أصول اعتقاد أهل السـنة والجماعة، ومـن أبرز موضوعاتها: موقف أهل السـنة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومحبـة أهل بيت النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإثبات الصفات، والإيمان باليوم الآخر، وموقف المسلم من النصوص الشرعية، وغيرها من مسائل الاعتقاد.

ثالثًا: ناظمها ونسبة المنظومة إليه

تُنسب هذه المنظومة إلى شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني (٦٦١-٧٢٨هـ)، واشتهرت عند أهل العلم باسم (لامية شيخ الإسلام ابن تيمية).

وقد نسبت إليه في عدد من المصادر والشروح، ومن ذلك شرح اللآلئ البهية للمرداوي، كما توجد لها نسخ خطية قديمة في بعض خزائن المخطوطات. يقول الدكتور علي بن عبد العزيز الشبل (ومتن اللامية عندي في ستة عشر بيتًا عن الأصلين، بمكتبة جامعة الملك سعود رقم ١٩٢٨/ ١٦ سنة ١٣٥٣هـ، ومكتبة جامعة الملك عبد العزيز بجدة رقم ٨٢٠. وبرقم ٢٣٥٦/ ٢ في صفحة واحدة سنة ١٣٢٦هـ)[(١)].

(١) الأثبات في مخطوطات الأئمة: شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن القيم، والحافظ ابن رجب، للدكتور علي بن عبد العزيز الشبل (١/ ١٩٢)

وقال الشيخ علي بن محمد العِمران: «لامية شيخ الإسلام نشرها الأخ خالد اللحيدان معتمدًا على عدة نسخ خطية متأخرة، وذكر بعض أدلة ثبوتها، وإن كنت لا أوافقه على الجزم بنسبتها إليه، بل فيه نظر كبير. ثم وقفت على نسخة خطية منها على طرة مجموع فيه فتوى لابن تيمية بخط أحد أبناء عمومته، بتاريخ (٧٦٢ هـ) في غاية الجودة والنفاسة، لكنه لم يجزم بنسبتها لشيخ الإسلام، فيبقى أن تجمع هذه الدلائل والقرائن إذا أردنا».[(١)]

وهذا الاحتياط في النسبة لا يقدح في مضمون المنظومة من حيث موافقته في الجملة لأصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، وإنما المقصود منه التفريق بين صحة المعنى وبين ثبوت نسبة النص إلى قائله.

۞ رابعًا: شروح المنظومة والعناية بها

لمّا كانت هذه المنظومة اللامية - على وجازتها وقلة أبياتها، وهي ستة عشر بيتًا - قد اشتملت على جمل من عقيدة أهل السنة والجماعة؛ اعتنى بها أهل العلم شرحًا وتدريسًا، قديمًا

(١) بدر التمام شرح لامية شيخ الإسلام (ص ١٧) د. عبد الرحمن بن عبد العزيز العقل.

وحديثًا. ومعرفة هذه الشروح لا يراد بها مجرد جمع الكتب وتكثير النقول، وإنما الاستفادة من جهود العلماء في فهم ألفاظ المنظومة، وتحرير مسائلها، وربط العلم بالدليل والعمل.

■ ومن شروحها

أولًا: «اللآلئ البهية في شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية» لأحمد بن عبد الله المرداوي الحنبلي (كان حيًّا سنة ١٢٣٦ هـ): وهو من أقدم الشروح المطبوعة التي وقفت عليها، وفيه عناية بألفاظ المنظومة، ونقول كثيرة عن أهل العلم، مع التعرض لاختلاف بعض الروايات في أبيات المتن. وقد طُبع الكتاب، وعليه تعليقات للشيخ صالح الفوزان حفظه الله.

ثانيًا: شرح الشيخ الدكتور عبد الكريم بن عبد الله الخضير حفظه الله: وهو شرح معاصر في دروس صوتية مفرغة، وقد اعتنى الشيخ بشرح ألفاظها ومسائلها العقدية. وهو مطبوع.

ثالثًا: شرح الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو شرح مطبوع للمنظومة. وخرج أحاديثه وعلق عليه الدكتور: طارق الخويطر، نشر كنوز إشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤٢٨ هـ.

رابعًا: «شرح اللامية» للشيخ يوسف بن عبد الله السالم: شرح معاصر مطبوع، قدّم له الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، وصدر عن دار ابن حزم، وهو في مجلد واحد.

خامسًا: شرح الشيخ عمر بن سعود العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو شرح صوتي مفرغ في تسعة عشر درسًا، اشتمل على شرح أبيات المنظومة، مع مقدمات وفوائد تتعلق بالعقيدة وطلب العلم.

وهناك شروح أخرى كثيرة، لكن لا يراد بهذا الموضع استقصاؤها، وإنما الإشارة إلى جملة من الشروح التي يمكن لطالب العلم أن ينتفع بها.

وقد يختلف الشُّرَّاح في مقدار التفصيل وطريقة العرض وبعض المسائل المتعلقة بتحرير ألفاظ المتن، أما المقصود في هذا التعليق فهو تقديم شرح تعليمي مختصر يقرّب ألفاظ المنظومة ومعانيها إلى طالب العلم المبتدئ، وعدم تحميل المتن ما لا يحتمل من المسائل والتفريعات.

۞ خامسًا: النسخ والمصادر المعتمد عليها في تحقيق النظم

اعتمدتُ في ضبط ألفاظ النظم ومقابلة رواياته على ثلاث نسخ خطية، ومصدرين مطبوعين، وذلك على النحو الآتي:

■ أولًا: النسخ الخطية:

الأولى: نسخة ضمن مخطوطات جامعة الملك سعود بالرياض، برقم ١٩٢٨/ ١٦، وتاريخ نسخها سنة ١٣٥٣هـ.

الثانية: نسخة ضمن مجموعة المخطوطات التابعة لجامعة الملك عبد العزيز بجدة، برقم) ٨٢٠) وبرقم ٢/ ٢٣٥٦ في صفحة واحدة، وتاريخ نسخها سنة ١٣٢٦هـ.

الثالثة: نسخة بخط الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٤١٩هـ)، قاضي بريدة وفقيهها الحنبلي، وقد نشرت دار النفائس والمخطوطات ببريدة صورةً منها. وتُعد هذه النسخة شاهدًا على تداول المنظومة والعناية بها بين علماء نجد في القرن الرابع عشر الهجري، وإن لم تكن دالةً على أقدمية أصلها؛ لتأخر تاريخ نسخها. وقد أفدتُ منها في مقابلة ألفاظ النظم ورواياته.

■ ثانيًا: المصادر المطبوعة

الأول: كتاب «اللآلئ البهية في شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية» لأحمد بن عبد الله المرداوي الحنبلي، وقد كان المؤلف حيًّا سنة ١٢٣٦هـ، وحققه وعلّق عليه إياد بن عبد اللطيف

القيسي. وقد أفدتُ منه في مقابلة ألفاظ النظم، وهو أقدم مصدر وقفتُ عليه أورد النظم وشرحه.

وقد جعلتُ روايته أصلًا في ضبط النص عند المقابلة، وأعني بها النص الذي أورده المرداوي في ثنايا الشرح، لا ما أورده المحقق في صدر الكتاب حين جمع القصيدة؛ فبين الموضعين اختلاف، ومن أمثلته البيت الرابع، ففي الصدر (وفضلٌ ساطع) وفي الشرح (قدر علا وفضائل). وأثبتُّ الفروق التي وقفتُ عليها في النسخ الأخرى في مواضعها من الحواشي.

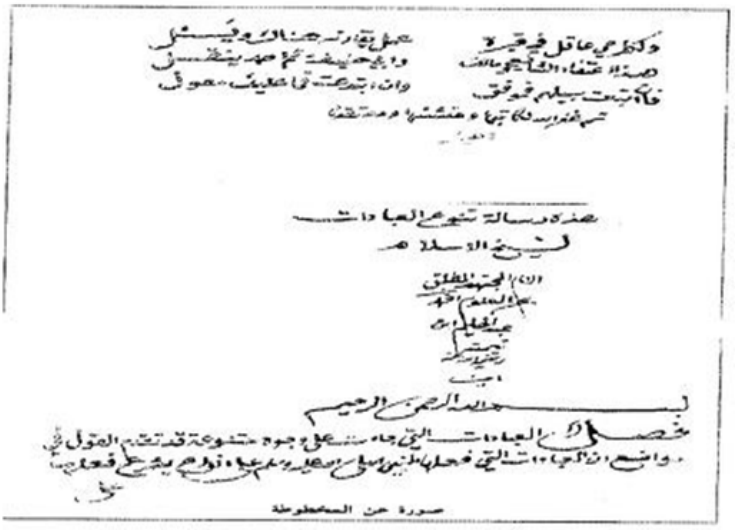
الثاني: كتاب جلاء العينين في محاكمة الأحمدين لنعمان بن خير الدين الألوسي (ت ١٣١٧ هـ)، وقد أورد فيه القصيدة ونسبها إلى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فاستفدتُ منه في مقابلة نص النظم وروايته.

وبناءً على ذلك، جعلتُ رواية «اللآلئ البهية» أصلًا للمقابلة وضبط النص، لا لكون الطبعة المطبوعة أقدم من النسخ الخطية الموجودة، وإنما لكونها تمثل مصدرًا مبكرًا للنظم، ولأن الكتاب محقق على نسخة خطية، مع مقابلة روايته بالنسخ الخطية الثلاث والمصدر المطبوع الآخر، وإثبات الفروق في الحواشي.

▪ صورة المخطوطة الأولى :



صورة من المخطوطة



صورة من المخطوطة

10

▪ صورة المخطوطة الثانية :



هذه عقيدة الشيخ تقي الدين احمد ابن تيمية

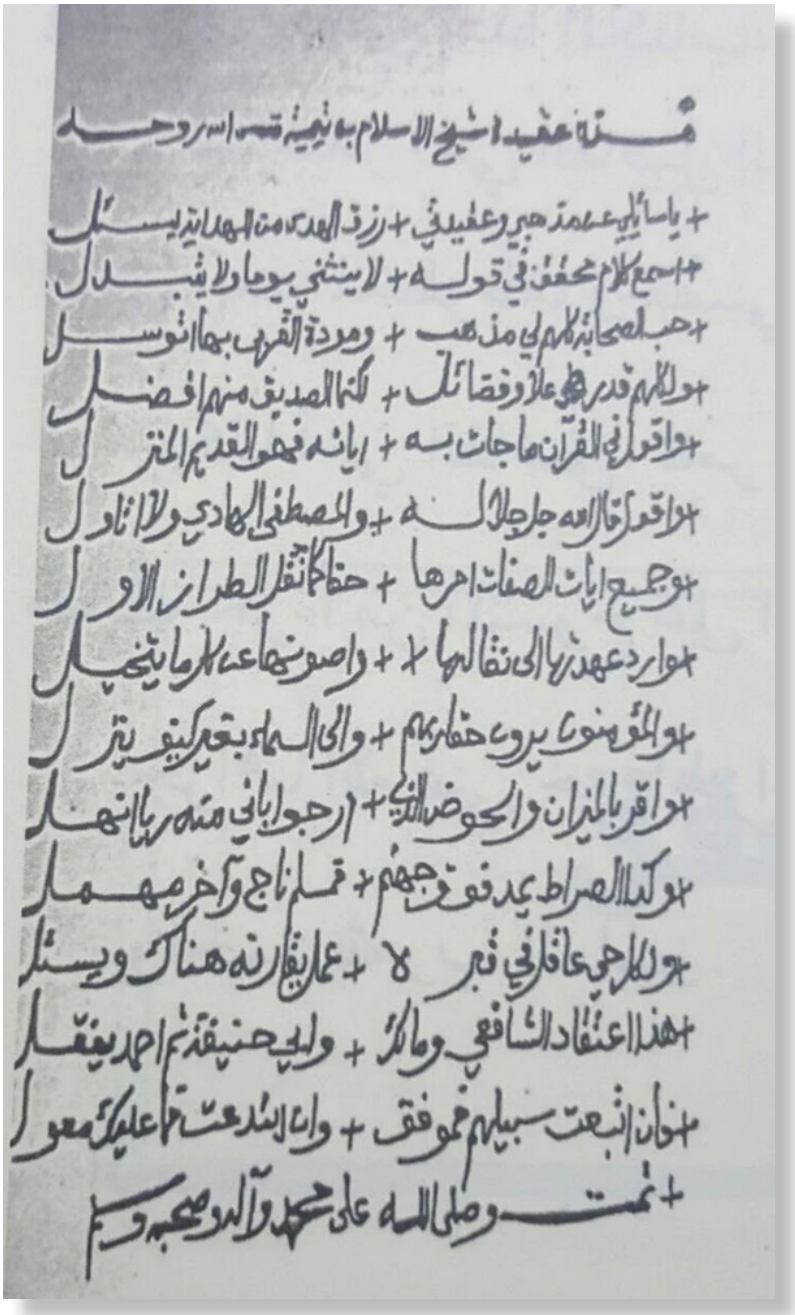
يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي ... رزق الهدى من للهدى ترياق
اسمع كلام محقق في قوله ... لا ينثني يوما ولا يتملق
حب الصحابة كلهم لي مذهب ... ومودة الثرى بها أتوسل
ولكلهم قدر علا وفضائل ... لكنما الصديق منهم افضل
وأقول في القرآن ما جاءت به ... آيا بأنه فيه القديم المنزل
وأقول قال الله جل جلاله ... والمصطفى الهادي كذا نتقول
وجميع ما صحت الصفات أمرها ... حقا كما نقل النظراز الأول
وأردعهدتها الى نقالها ... واصونها عن كل ما يسخيل
فبهم علمنا القرآن وراءه ... واذا اسند ريقوا قال الاخمل
والمؤمنون يرون ربهم ... والى السما بغير كيف يتقل
واقر بالميزان والحوض الذي ... ارجوا بأني من هنديا انهل
وصراط يمد فوق جهنم ... فمسلم ناج وآخر مهمل
والنار يصلاها الشقي بعدله ... وكذا التقي الى الجنان يفرد ل
ولكل حي عامل في قبره ... عمل بقاء ندهنا كوتشارك
هذا اعتقاد الشافعي وما لك ... وابو حنيفة ثم احمد بنقل
فان ابتغت سبلهم فوفقت ... وان ابتدعت فما عليه معول

تمت العقيدة وسر احمد والمنة

سئل شيخ الاسلام احمد بن تيمية عن رجل لم يصل
الوتر عشاء الاخرة فهل يجوز له تركه ام لا فاجاب رحمه الله
الحمد لله الوتر سنة مؤكدة باتفاق المسلمين ومن اصر على تركه فا
ترد شهادته وتنازع العلماء في وجوبه فاوجبه ابو حنيفه
طائفة من اصحاب احمد والمحدثين كابي بكر وابن خزيمة
احمد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوتر على راحلته والواجب
يفعل على الراحلة لكن هو باتفاق المسلمين سنة مؤكدة

صورة عن المخطوطة

نسخة الشيخ عبدالله بن سليمان بن بلهيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ



متن اللامية

١. يَـا سَـائِلِي عَـنْ مَذْهَبِـي وَعَقِيدَتِـي
رُزِقَ الْـهُـدَى مَـنْ لِـلْـهِـدَايَـةِ يَـسْـأَلُ

٢. اسْـمَعْ كَلَامَ مُحَقِّـقٍ فِـي قَوْلِهِـــ
ـــلَا يَـنْـثَـنِي عَـنْـهُ وَلَا يَتَبَـــدَّلُ

٣. حُـبُّ الصَّحَابَـةِ كُلِّهِـمْ لِـي مَذْهَـبٌ
وَمَـــوَدَّةُ الْـقُـرْبَـى بِـهَـا أَتَـوَسَّـــلُ

٤. وَلِكُلِّهِـمْ قَـدْرٌ عَـلَا وَفَضَائِـــلٌ[(١)]
لَـكِـنَّـمَـا الـصِّـدِّيـقُ مِـنْـهُـمْ أَفْـضَـلُ

٥. وَأَقُـولُ فِـي الْقُـرْآنِ مَـا جَـاءَتْ بِهِـ
ـآيَـاتُـهُ فَـهُـوَ الْـقَـدِيـمُ[(٢)] الْمُنْـزَلُ

---

(١) وفي نسخة: (وفَضْلٌ ساطعٌ) وكذا في نسخة جلاء العينين .

(٢) كذا في جميع النسخ التي بين يدي، و جاء في بعض النُّسَخِ المطبوعة: «فهو الكريم المنزل»، ويحتمل أنَّ بعضَهم عَدَّلَه إلى «الكريم»؛ لأجل مجانبة الإشكال، مع أن هذا التعديل خِلافُ النُّسَخِ الخطيَّة . وقد نقله ابن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٣٤٩ه) في «تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة» (ص ٢١) بلفظ القديم ؛ حيث قال: (وأما ما ذكره في القول السديد في الأبيات التي نسبها لشيخ الإسلام قدس الله روحه إن صح النقل بذلك عنه حيث قال:

وأقول في القرآن ما جاءت به آياته فهو القديم المنزل

٦. وَأَقُولُ: قَالَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ
وَالْمُصْطَفَى الْهَادِي وَلَا أَتَأَوَّلُ

٧. وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أُمِرُّهَا
حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الْأَوَّلُ

٨. وَأَرُدُّ عُهْدَتَهَا إِلَى نُقَّالِهَا
وَأَصُونُهَا عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

٩. قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ الْقُرْآنَ[١] وَرَاءَهُ
وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ: قَالَ الْأَخْطَلُ[٢]

١٠. وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقًّا رَبَّهُمْ
وَإِلَى السَّمَاءِ[٣] بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ

= فهذا القول إن صح لا ينافي كونه سبحانه يتكلم فيما لم يزل بقدرته ومشيئته كما هو مذهب أهل السنة والجماعة خلافا لأهل الكلام من المبتدعة وغيرهم. والله أعلم.) .

(١) وفي نسخة: (قُبْحٌ لِمَنْ نَبَذَ الْكِتَابَ) والمعنى واحد؛ إذ المراد بالكتاب هنا القرآن نفسه.

(٢) البيت سقط من نسخة ابن بلهيد .

(٣) وفي نسخة المرداوي: (وإلى السماءِ الدنيا)، ولعل لفظة (الدنيا) من الشرح أو من زيادات النساخ؛ إذ لا يستقيم النظم بإثباتها.

١١. وَأُقِـرُّ بِالْمِيـزَانِ وَالْحَـوْضِ الَّـذِي
أَرْجُـو بِـأَنِّـي مِـنْـهُ رِيّـًا أَنْـهَـلُ

١٢. وَكَذَا الصِّرَاطُ[١] يُمَدُّ فَوْقَ جَهَنَّمٍ[٢]
فَـمُـسَـلَّـمٌ[٣] نَـاجٍ وَآخَـرُ مُـهْـمَـلُ

١٣. وَالنَّـارُ يَصْلَاهَا الشَّـقِيُّ بِحِكْمَـةٍ
وَكَـذَا التَّقِيُّ إِلَى الْجِنَانِ سَـيَدْخُـلُ[٤]

١٤. وَلِكُـلِّ حَـيٍّ عَاقِـلٍ فِـي قَبْـرِهِ
عَـمَـلٌ يُـقَـارِنُـهُ هُـنَـاكَ وَيُـسْـأَلُ

١٥. هَـذَا اعْتِقَـادُ الشَّـافِعِيِّ وَمَالِـكٍ
وَأَبُـو حَنِيفَـةَ[٥] ثُـمَّ أَحْمَـدُ يَنْقُـلُ

---

(١) وفي نسخة: (وصراطٌ يُمَدُّ)، ويظهر أنه تصحيفٌ من الناسخ؛ والصواب) وكذا الصراطُ يُمَدُّ (لاستقامة السياق والنظم.

(٢) قوله (جهنم) ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث، وقد صُرفت هنا للضرورة الشعرية.

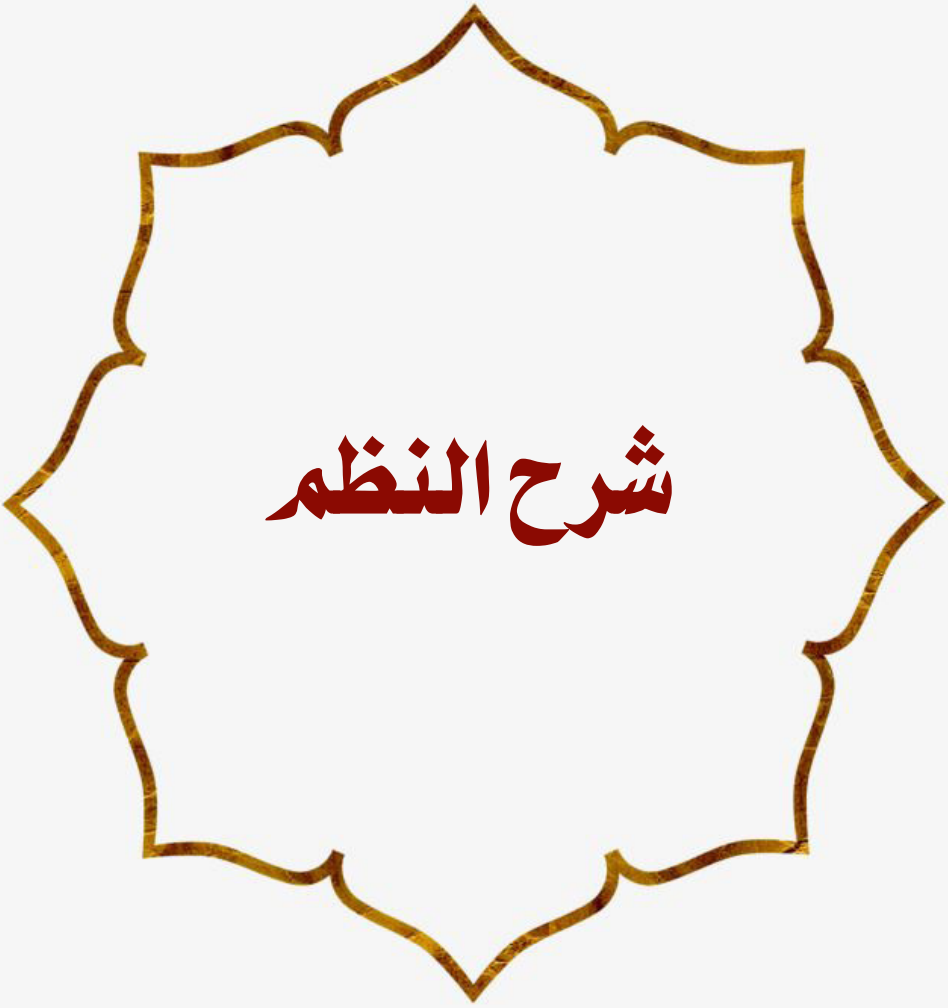
(٣) وفي نسخة جلاء العينين: (فموحد) .

(٤) وفي نسخة: (فَيَدْخُلُ)، ويظهر أنه تصحيفٌ من الناسخ؛ لمخالفته الرواية المثبتة في سائر النسخ، وقد سقط هذا البيت من نسخة ابن بلهيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

(٥) وفي نسخة (وأبي حنيفة) وكذا في نسخة جلاء العينين، وكلا الوجهين صحيح إعرابًا:
- فالروايـة المثبتـة في الأصل (وأبو حنيفة) على الاسـتئناف، و«أبو» مبتـدأ، و«أحمد» معطوف عليه، وجملة «ينقل» خبرٌ عنهما؛
- ورواية (وأبي حنيفة) على العطف على «الشافعي ومالك» في صدر البيت.

١٦. فَـإِنِ اتَّبَعْـتَ سَـبِيلَهُمْ فَمُـوَفَّـقٌ
وَإِنِ ابْتَدَعْـتَ فَمَـا عَلَيْـكَ مُعَـوَّلُ

❊❊❊


شرح النظم

السؤال عن العقيدة وطلب الهداية

١. يَـا سَـائِلِي عَـنْ مَذْهَبِـي وَعَقِيدَتِـي
رُزِقَ الْـهُـدَى مَـنْ لِـلْـهِـدَايَـةِ يَـسْـأَلُ

الشرح

افتتـح الناظم منظومته بخطاب سـائله، فقال: (يا سـائلي عن مذهبـي وعقيدتي)، أي: يا من يسـألني عن مذهبي الذي أدين الله به، وعن عقيدتي التي أعتقدها.

ثـم دعا لسـائله فقـال (رُزِقَ الهدى من للهداية يسـأل)؛ أي: أسأل الله أن يرزق الهدايةَ من يسأل عنها طالبًا للحق والرشاد.

وفي هذا حسـن أدبٍ مع السـائل؛ إذ حمل الناظم سؤالَه على إرادة معرفـة الحـق وطلب الهدايـة، ولم يحمله علـى التعنت أو المراء، فدعا له بدل أن يعنفه أو يسيء الظن بقصده.

وقولـه: (مذهبي وعقيدتي) يدل على أن السـائل سـأله عما يديـن الله بـه في الاعتقاد والمنهـج، وما يتصل بذلـك من أصول الدين.

ومن أهمية البدء بالعقيدة أن صحة الاعتقاد هي الأساس الذي يُبنى عليه العمل، فمتى صلحت عقيدة العبد صلح قصده وعمله بإذن الله.

ولهذا اتجهت همة السائل إلى سؤال الناظم عن عقيدته ومذهبه، قبل سؤاله عن غير ذلك من مسائل العلم؛ لأن معرفة العقيدة الصحيحة أصلٌ لما بعدها.

ثم دعا الناظم لطالب الهداية فقال: **(رُزِقَ الهدى من للهداية يسأل)**، وفيه إشارة إلى أن طلب العلم ينبغي أن يقترن بطلب الهداية من الله تعالى.

فائدة:

السؤال قد يكون سؤالَ استرشاد وطلب للحق، وقد يكون سؤالَ تعنت ومراء؛ ولكل منهما أثره.

فأما سؤال الاسترشاد، فهو من أسباب الانتفاع بالعلم؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾[1]

(١) [محمد: ١٧].

وأما السؤال على وجه التعنت والتحدي، فقد يكون صاحبه معرضًا عن قبول الحق، ومن أمثلته ما حكاه الله تعالى عن المشركين في قولهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾[1]

فالناظم أحسن الظن بسائله، وحمل سؤاله على طلب الهداية والاسترشاد، ولذلك دعا له بقوله: (رُزِقَ الهدى).

❊❊❊

(١) [الإسراء: ٩٠].

صفات العالم الذي يُؤخذ عنه العلم

٢. اسْمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ
لَا يَنْثَنِي عَنْهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ

الشرح

قال الناظم لسائله (اسمع كلامَ محققٍ في قوله) أي: استمع إلى كلام عالمٍ يتثبت فيما يقول، ولا يتكلم بغير علم، ولا يقرر قولًا إلا بعد تحقيقٍ ونظرٍ في الدليل.

وفي هذا إشارة لطالب العلم إلى أهمية التثبت فيمن يأخذ عنه العلم ويتتلمذ عليه؛ فلا يجعل همَّه كثرة الشيوخ، وإنما يحرص على العالم المعروف بالعلم والبصيرة، وحسن الاتباع، والتثبت في القول، حتى يأخذ عنه العلم على بصيرة.

وقوله (محقق في قوله) وصفٌ لنفسه بالتحقيق والتثبت فيما يقرره من مذهبه وعقيدته، وهو معنى محمود في مقام بيان الاعتقاد؛ إذ الواجب على المسلم أن يتلقى مسائل الاعتقاد عن الأدلة الشرعية، وأن يتثبت فيما ينسبه إلى الله تعالى ورسوله ﷺ.

ثم قال **(لا ينثني عنه ولا يتبدل)**؛ أي: لا يرجع عنه ولا يغيره؛ إشارة إلى ثباته على ما يعتقده ويدين الله به، وعدم تردده فيه.

والمراد أن الناظم سيعرض لسائله ما يعتقده ويقرره، وهو ثابت عليه غير متردد فيه.

ومن فوائد البيت: أن من تكلم في العلم، ولا سيما في مسائل الاعتقاد، ينبغي له أن يكون على علم وتثبت ويقين، وأن لا يتكلم بالظن أو بمجرد الدعوى.

وهذا لا يعني أن العالم لا يرجع عن قول تبين له خطؤه؛ بل الرجوع إلى الحق فضيلة، وإنما المراد هنا أن الناظم يصف ما سيقرره في هذه المنظومة بأنه قولٌ محقق ثابت عنده، لا قولٌ متردد فيه أو متقلب.

❋❋❋

عقيدة أهل السنة في الصحابة وآل البيت [1]

٣. حُـبُّ الصَّحَابَـةِ كُلِّهِـمْ لِـي مَذْهَـبٌ
وَمَـــوَدَّةُ الْـقُـرْبَـى بِـهَـا أَتَـوَسَّـلُ

الشرح

بيَّن الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا البيت أصلين من أصول أهل السنة والجماعة: محبة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ومحبة ذوي القربى للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الأصل الأول: محبة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ:

فقوله (حُبُّ الصَّحَابَـةِ كُلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ) أي: محبة أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دين وطريقة يدين الله بها.

والصحابي: من لقي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به، ومات على الإسلام. ويدخل في ذلك من طالت صحبته للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) يُنظر: «الجرح والتعديل» (١/ ٧)،: «الإبانة الصغرى» (ص ٢٨٧)، «الاستيعاب» (١/ ١)، «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (٢/ ١٨٤)، «الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهورية» (ص: ٥٩) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ للدكتور ناصر الشيخ.

ومن قصرت، ومن روى عنه ومن لم يروِ عنه.[1]

■ ومحبة الصحابة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع:

فمن الكتاب: أن الله تعالى أثنى على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وعلى من اتبعهم بإحسان، فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[2]

ومن السنة: قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».[3]

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**»[4]

وإما الإجماع: حكى الطحاوي في «العقيدة» اتفاق فقهاء الأمة على محبة الصحابة كلهم، لا يُفرَّط في حب أحد منهم

---

(١) يُنظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» (١/ ١٥٨) «لوامع الأنوار البهية» (١/ ٥٢) «مصطلح الحديث لابن عثيمين» (ص: ٣٣).

(٢) [التوبة: ١٠٠].

(٣) رواه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٤) رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم(٢٥٤١)

ولا يُتبرأ من أحد منهم، وأن «محبتهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»؛ وقال ابن تيمية في «منهاج السنة»: «وهؤلاء متفقون على محبة الصحابة وموالاتهم وتفضيلهم على سائر القرون»[1]؛ فقوله: (كُلُّهُمْ لِي مَذْهَبٌ) مذهبُ الأمة الموصوف قبل أن يكون مذهبَ الناظم.

۞ الأصل الثاني: مودة قرابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

وأما قوله: (وَمَوَدَّةُ القُرْبَى بِهَا أَتَوَسَّلُ)، فالمراد محبة قرابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته، وتوقيرهم وحفظ حقهم؛ لما لهم من حق القرابة، ولما ثبت لأهل الإيمان منهم من فضل وإيمان.

ومن قرابته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بنو هاشم وبنو المطلب، ومن بني المطلب: السائب بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن أهل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: زوجاته أمهات المؤمنين، وعلي وفاطمة والحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويدخل في أهل بيته بنو هاشم، و بنو هاشم يدخل فيهم:

---

(١) ينظر: مناهج السنة (٣/ ٤٠٦)

* آل علي بن أبي طالب.
* وآل العباس.
* وآل جعفر.
* وآل عقيل.
* وبنو الحارث بن عبد المطلب.

ولكلٍّ منهم حقه بحسب ما ثبت في الشرع من القرابة والفضل، وينبغي التنبيه إلى أن ليس كل قريب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدخل في آل البيت.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ (١)

وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**»(٢)

وقال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ارقبوا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهل بيته»(٣)

---

(١) [الأحزاب: ٣٣]

(٢) رواه مسلم (٢٤٠٨)، من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه البخاري (٣٧١٣)

ومحبة أهل البيت تكون بلا غلو ولا جفاء؛ فلا يُرفع أحد منهم فوق منزلته، ولا يُجعل مجرد النسب سببًا للعصمة أو الفضل المطلق؛ فالكرامة عند الله بالإيمان والتقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾(١)

ولهذا يجتمع في المؤمن من أهل البيت حق القرابة وحق الإيمان، أما من كان على غير الإسلام فلا تنفعه مجرد القرابة؛ قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ﴾(٢)

ومعنى قوله: (بِهَا أَتَوَسَّلُ) أي أتقرب إلى الله بمحبتهم وما يجب لهم من الحقوق، وليس المراد دعاءهم أو الاستغاثة بهم.

لماذا بدأ الناظم بالصحابة وآل البيت؟

لأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

* هم الذين صحبوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشهدوا التنزيل.
* وهم الذين نقلوا إلى الأمة كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) [الحجرات: ١٣].

(٢) [التوبة: ١١٣].

* ولأن محبة أهل البيت وتوقيرهم من حقوق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي أكد عليها.

ومن ثم كان حب الصحابة وآل البيت وتوقيرهم من معالم اعتقاد أهل السنة والجماعة.

ما الذي يجب على المسلم تجاه الصحابة وآل البيت؟

إذا أحب المسلم الصحابة وآل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن من مقتضى هذه المحبة:

أولًا: أن يحبهم لله تعالى

أن يحب أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لله تعالى، لما جمع الله لهم من الصحبة، والقرابة، والإيمان، والنصرة، والفضل، ولما اختصوا به من صحبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونصرة دينه وحمل شريعته.

وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (آيةُ الإيمانِ حبُّ الأنصارِ، وآيةُ النفاقِ بغضُ الأنصارِ) [1]

(١) رواه البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤)

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا تسبُّوا أصحابي، فلو أنَّ أحدَكم أنفق مثلَ أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدِهم ولا نصيفَه) (١)

وهذا يدل على عظيم حق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأن محبتهم من مقتضى الإيمان، لما لهم من السابقة والفضل والصحبة والنصرة.

■ ثانيًا: اعتقاد عدالتهم وتزكية الله ورسوله لهم

أن يعتقد عدالتهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لما ثبت من تزكية الله تعالى لهم، وثنائه عليهم، وبيانه فضلهم، وما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الثناء عليهم وبيان منزلتهم، فلا يحتاج المسلم إلى البحث عن عدالة كل واحد منهم أو السؤال عن حاله؛ لأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قد ثبتت عدالتهم بالنصوص الشرعية العامة، وهم الذين نقلوا إلينا كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد حكى عدد من أهل العلم إجماع أهل السنة والجماعة على أن جميع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عدول، منهم ابن عبد البر والقرطبي والنووي وابن تيمية وابن الصلاح وغيرهم. (٢)

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

(٢) يُنظر: «الاستيعاب» (١/ ١٩)، «مقدمة ابن الصلاح» (ص: ٣٩٧)، «تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٩٩)، «التقريب والتيسير للنووي» (ص: ٩٢)، «المسودة» لآل تيمية (ص: ٢٩٢).

ثالثاً: سلامة القلوب والألسنة لأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فقلوبهم سليمة من البغض والغل والحقد والكراهة لهم، وألسنتهم نقية من السب والطعن والقول الذي لا يليق بمقامهم.

عن أبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه كانَ بَينَ خالِدِ بن الوَلِيدِ وبَينَ عَبدِ الرَّحمَنِ بن عَوفٍ شَيءٌ، فسَبَّهُ خالِدٌ، فقال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا تَسُبُّوا أحَدًا من أصحابي؛ فإنَّ أحَدَكم لو أنفَقَ مِثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، ما أدرَكَ مُدَّ أحَدِهم ولا نَصيفَه) (١)

قال مالِكُ بنُ أَنَسٍ: (الذي يَشتُمُ أصحابَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس له سَهمٌ -أو قال: نَصيبٌ- في الإسلام)(٢).

وقال أحمَدُ بنُ حَنبَلٍ: (إذا رَأيتَ رَجُلًا يَذكُرُ أحَدًا مِنَ الصَّحابةِ بسُوءٍ فاتَّهِمْهُ عَلى الإسلامِ)(٣).

وقال أيضًا: (مَن انتَقَصَ أحَدًا مِن أصحابِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو أبغَضَهُ بحَدَثٍ كانَ مِنهُ، أو ذَكَرَ مَساوِيَه، كانَ

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) واللَّفظُ له.

(٢) يُنظر: «الإبانة الصغرى» لابن بطة (ص: ١٧٨).

(٣) يُنظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١١/ ٤٥٠).

مُبتَدِعًا، حَتَّى يَتَرَحَّمَ عليهِم جَميعًا، ويَكونَ قَلبُه لهم سَليمًا)[1]

■ رابعاً: أن يترضى عنهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويستغفر لهم ويدعو لهم

كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[2]

■ خامسًا: أن يمسك عما شجر بينهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

فلا يجعل ما وقع بينهم من الفتن والنزاعات سببًا للطعن فيهم، بل يتعامل معه بالعدل والعلم، مع اعتقاد أنهم غير معصومين.

قال ابنُ حَجَرٍ: (اتَّفَقَ أهلُ السُّنَّةِ عَلى وُجوبِ مَنعِ الطَّعنِ عَلى أحَدٍ مِنَ الصَّحابةِ بسَبَبِ ما وقَعَ لهم مِن ذلك، ولَو عُرِفَ المُحِقُّ مِنهم؛ لِأنَّهم لم يُقاتِلوا في تِلكَ الحُروبِ إلَّا عن اجتِهادٍ، وقَد عَفا اللهُ تعالى عنِ المُخْطِئِ في الاجتِهادِ، بَل ثَبتَ أنَّه يُؤْجَرُ أجرًا واحِدًا، وأنَّ المُصيبَ يُؤْجَرُ أجرَينِ)[3]

---

(١) يُنظر: «أصول السنة» (ص ٥٤).

(٢) [الحشر: ١٠].

(٣) يُنظر: «فتح الباري» (١٣/ ٣٤).

وقال مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الوَهَّابِ: (أجمَعَ أهلُ السُّنَّةِ عَلى السُّكوتِ عَمَّا شَجَر بينَ الصَّحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولا يُقالُ فيهِم إلَّا الحُسنى)[1]

■ سادسًا: أن يحذر من الغلو في الصحابة وآل البيت

فلا يرفع أحدًا منهم فوق منزلته، ولا يجعل مجرد الصحبة أو القرابة سببًا للعصمة؛ فالعبرة بالإيمان والتقوى.

فمنهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب محبة وتوقير، وعدل وإنصاف؛ بلا غلو ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط.

❋❋❋

(١) يُنظر: «مختصر سيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (ص ٣١٧).

تفاضل الصحابة فيما بينهم في المراتب

٤. وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلَا وَفَضَائِلٌ[1]
لَكِنَّمَا الصِّدِّيقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ

الشرح

بيَّن الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا البيت أصلين:

* الأول: أن لجميع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قدرًا وفضائل.

* والثاني: أنهم يتفاضلون فيما بينهم، وأن أفضلهم أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الأصل الأول: قوله: (وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلَا وَفَضَائِلٌ) أي: لجميع أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منزلة رفيعة وفضائل كثيرة، لما اختصوا به من صحبة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونصرة الدين، وشهود التنزيل، وحمل الشريعة وتبليغها إلى من بعدهم. وليس المقصود أن الصحابة متساوون في مراتب الفضل، وإنما المقصود أن لكل واحد منهم نصيبًا من الفضل والمنزلة، وإن تفاوتوا في ذلك.

---

(١) وفي نسخة: (وفَضْلٌ ساطعٌ) وكذا في نسخة جلاء العينين.

وقد أثنى الله تعالى على المهاجرين والأنصار، فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[1]

وقال تعالى في عموم أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾[2].

قال السَّعديُّ: (يُخبرُ تعالى عن رَسولِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه مِنَ المُهاجِرينَ والأنصارِ، أنَّهم بأكمَلِ الصِّفاتِ، وأجلِّ الأحوالِ، وأنَّهم أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ أي: جادُّون ومُجتَهِدونَ في عَداوَتِهم، وساعونَ في ذلك بغايةِ جُهدِهم، فلَم يَرَوا مِنهم

(١) [التوبة: ١٠٠]

(٢) [الفتح: ٢٩].

إِلَّا الغِلْظَةَ والشِّدَّةَ؛ فلذلك ذَلَّ أعداؤُهم لهم، وانكَسَروا، وقَهَرَهمُ المُسْلِمونَ، رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ أي: مُتَحابُّونَ مُتَراحِمونَ مُتَعاطِفونَ، كالجَسَدِ الواحِدِ، يُحِبُّ أحَدُهم لِأخيه ما يُحِبُّ لِنَفسِه، هَذِه مُعامَلَتُهم مَعَ الخَلقِ، وأمَّا مُعامَلَتُهم مَعَ الخالِقِ فإنَّكَ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا أي: وَصْفُهم كثرةُ الصَّلاةِ، الَّتي أجلُّ أركانِها الرُّكوعُ والسُّجودُ. يَبْتَغُونَ بتِلكَ العِبادةِ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا أي: هَذا مَقصودُهم بلوغُ رِضا رَبِّهم، والوُصولُ إلى ثَوابِه. سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ أي: قَد أثَّرَتِ العِبادةُ -مِن كثرَتِها وحُسْنِها- في وُجوهِهِم، حَتَّى استَنارَت، لَمَّا استَنارَت بالصَّلاةِ بواطِنُهم استَنارَت بالجَلالِ ظَواهِرُهم.

ذَلِكَ المَذكورُ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ أي: هَذا وصْفُهمُ الَّذي وصَفَهمُ اللهُ بِه، مَذكورٌ بالتَّوراةِ هَكَذا. وأمَّا مَثَلُهم في الإنجيلِ فإنَّهم مَوصوفون بوَصفٍ آخَرَ، وأنَّهم في كمالِهم وتَعاوُنِهم كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ أي: أخرَجَ فراخَهُ، فوازَرَتهُ فراخُهُ في الشَّبابِ والاستِواءِ. فَاسْتَغْلَظَ ذلك الزَّرعُ، أي: قَوِيَ وغَلُظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ جَمعُ ساقٍ، يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ من كمالِه واستِوائِه، وحُسنِه

واعتِدالِـه، كذلك الصَّحابةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، هم كالزَّرعِ في نَفعِهم لِلخَلقِ واحتيـاجِ النَّاسِ إلَيهِم، فقُوَّةُ إيمانِهم وأعمالِهم بمَنزِلةِ قوَّةِ عُروقِ الزَّرعِ وسُـوقِه، وكَونُ الصَّغيرِ والمُتَأخِّرِ إسـلامُه قَـد لحِقَ الكَبيرَ السَّابقَ ووازَرَهُ وعاوَنَهُ عَلى ما هو عليه، من إقامةِ دينِ اللهِ والدَّعوةِ إلَيـه؛ كالزَّرعِ الَّذي أخرَجَ شَـطْأَهُ، فـآزَرَهُ فاسـتَغلَظَ؛ ولِهَذا قال: لِيَغِيـظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ حينَ يَـرَونَ اجتِماعَهم وشِـدَّتَهم عَلى دينِهم، وحينَ يَتَصادَمونَ هم وهم في مَعارِكِ النِّزالِ، ومَعامِعِ القِتالِ.

وَعَـدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَـاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًـا فالصَّحابـةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، الَّذيـنَ جَمَعوا بَينَ الإيمـانِ والعَمَلِ الصَّالِـحِ، قَد جَمَعَ اللهُ لهم بَيـنَ المَغفِرةِ، الَّتي مـن لوازِمِها وِقايةُ شُرورِ الدُّنيا والآخِرةِ، والأجرُ العَظيمُ في الدُّنيا والآخِرةِ)

الأصل الثـاني: وقوله: **(لَكِنَّمَا الصِّدِّيقُ مِنْهُـم أَفْضَلُ)** أي: أن أبـا بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أفضـل الصحابة على الإطـلاق، و أهل السـنة أجمعوا على أن أبا بكر الصديـق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أفضل الصحابة، ثم عمر، وقد حكى هذا الإجماع غير واحد من أئمة أهل السـنة، منهم الإمام مالك و الشافعي والنووي وابن تيمية وغيرهم .

يقول الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ما اختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على جميع الصحابة)[1]

و«الصديق» هو أبو بكر عبد الله بن عثمان التيمي القرشي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، واشتهر بهذا اللقب لما عُرف به من شدة تصديقه للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن ذلك تصديقه له في خبر الإسراء والمعراج.

وقد دلت السنة على فضله وتقديمه على سائر الصحابة، ومن ذلك:

* أولًا: قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما سأله: «أي الناس أحب إليك؟» قال: **(عائشة)**، قال: قلت: فمن الرجال؟ قال: **(أبوها)**.[2]

* ثانيًا: قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(لو كنت متخذًا خليلًا غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته)**.[3]

---

(١) ينظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٤/ ٤٢١) و«مناقب الشافعي» (١/ ٤٣٤)، و«الاعتقاد» (ص: ٥٢٢). «شرح مسلم للنووي» (١٥/ ١٤٨)

(٢) رواه البخاري (٣٦٦٢).

(٣) رواه البخاري (٣٦٥٦)، ومسلم (٢٣٨٢).

* ثالثًا: ما ثبت من تقديم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له في مواضع كثيرة، ومن أعظمها تقديمه للصلاة بالناس في مرضه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مُروا أبا بكر فليصلِّ بالناس) (١)

وكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أسبق الناس إلى الإسلام، ومن أعظم أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صحبةً ونصرةً وبذلًا، وشهد له القرآن بصحبته للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الغار، فقال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾. (٢)

ومن مناقبه العظيمة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استخلفه على الصلاة بالناس في مرضه، ثم تولى الخلافة بعد وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقام بأمر الأمة، وثبّت الله به المسلمين، ومن أعماله الجليلة جمع القرآن في مصحف بعد استشهاد عدد من القراء في وقعة اليمامة.

فائدة عقدية:

يدل هذا البيت على أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ متفاضلون في الفضل والمراتب، وأن أفضلهم أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم عمر

---

(١) رواه البخاري (٦٨٣)، ومسلم (٤١٨).

(٢) [التوبة: ٤٠].

بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وهذا هو المشهور عند أهل السنة والجماعة، وهو ترتيبهم في الفضل، كما هو ترتيبهم في الخلافة عند جمهور أهل السنة، بل قال الحافظ ابن حجر: (قد سبق بيان الاختلاف في أي الرجلين أفضل بعد أبي بكر وعمر: عثمان أو علي؟ وأن الإجماع انعقد بأخرة بين أهل السنة أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين) .[1]

ثم يتفاضل سائر الصحابة بحسب ما اختص به كل واحد منهم من السابقة إلى الإسلام، والهجرة، والجهاد، والإنفاق، والنصرة، وغير ذلك من وجوه الفضائل.

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ﴾[2]

فأهل السنة يحبون الصحابة جميعًا، ويعرفون فضل كل ذي فضل منهم، ولا يمنع التفاضل بينهم من محبتهم والترضي عنهم جميعًا.

---

(١) ينظر: «فتح الباري» (٧/ ٣٤).

(٢) [الحديد: ١٠].

منهج أهل السنة في القرآن الكريم

٥ . وَأَقُولُ فِي الْقُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ [١]

آيَاتُهُ فَهُوَ الْقَدِيمُ [٢] الْمُنْزَلُ

الشرح

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأَقُولُ فِي الْقُرْآنِ) أي: أُبيِّن ما أعتقده في القرآن، فأؤمن به كله، وأصدِّق بما جاء فيه، وأعتقد أنه كلام الله تعالى المنزل، وأن ما اشتمل عليه من الأخبار حق، وما جاء فيه من الأحكام حق، وأنه هدى للناس ورحمة، يجب الإيمان به واتباعه، وردُّ ما أشكل فهمه إلى المحكم من الكتاب والسنة.

---

(١) وفي نسخة «وأُقِرُّ بِالقُرآنِ»، والمعنى متقارب.

(٢) كذا في جميع النسخ التي بين يدي، و جاء في بعض النُّسَخِ المطبوعة: «فهو الكريم المنزل»، ويحتمل أنَّ بعضَهم عَدَّلَه إلى «الكريم»؛ لأجل مجانبة الإشكال، مع أن هذا التعديل خِلافُ النُّسَخِ الخطيَّة . وقد نقله ابن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٣٤٩ه) في «تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة» (ص ٢١) بلفظ القديم ؛ حيث قال: (وأما ما ذكره في القول السديد في الأبيات التي نسبها لشيخ الإسلام قدس الله روحه إن صح النقل بذلك عنه حيث قال:

وأقول في القرآن ما جاءت به ... آياته فهو القديم المنزل

فهذا القول إن صح لا ينافي كونه سبحانه يتكلم فيما لم يزل بقدرته ومشيئته كما هو مذهب أهل السنة والجماعة خلافا لأهل الكلام من المبتدعة وغيرهم. والله أعلم.) .

وقوله: (مَا جَاءَتْ بِهِ آيَاتُهُ)، أي: أؤمن بكل ما دلت عليه آيات القرآن، من أخبار الغيب، وأسماء الله وصفاته، والأحكام والقصص والمواعظ، من غير ردٍّ لشيء منه ولا تحريف لمعانيه.

وقوله: (فَهُوَ الْقَدِيمُ الْمُنْزَلُ): لم يرد في الكتاب والسنة وصفُ القرآن بـ(القديم)، وهو لفظ مجمل، ولم يُعرف عن السلف إطلاق وصف القديم على القرآن؛ وإنما قالوا: القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، وإن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء. وظاهر البيت إسناد القِدَم إلى القرآن، فإن أُريد بالقِدَم أن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء، يتكلم بما شاء متى شاء، فهذا حق؛ وإن أُريد به أن القرآن المنزَّل بعينه أزلي بقدم الله، فهذا ليس قول أهل السنة. وقد نقل ابن سحمان هذا البيت بقوله: «إن صح النقل بذلك عنه»، وذكر أنه لا ينافي كون الله يتكلم بقدرته ومشيئته. وأما القرآن المنزَّل فقد تكلم الله به وأنزله على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمشيئته في الوقت الذي شاء، ولا يلزم من ذلك أن يكون مخلوقًا.[1]

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٤)، حيث بيّن شيخ الإسلام أن السلف قالوا إن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، وإن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء، ولم يقولوا إن القرآن قديم؛ وينظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٤٦٦) قوله رَحِمَهُ اللَّهُ في أن القول بقدم القرآن أحدثه ابن كلاب ولا يُعرف عن السلف.

قوله: (الْمُنْزَلُ) لقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[1]

والإيمان بالقرآن لا يقتصر على اعتقاد أنه كتاب منزل، بل يشمل تصديقه والعمل به وتعظيمه وتدبره؛ فمن حق القرآن أن يؤمن المسلم بأخباره، ويمتثل أحكامه، ويعظم ما عظمه الله فيه.

ولهذا صدَّر الناظم أصول عقيدته بالإقرار بالقرآن؛ فهو أصل الوحي الذي يجب قبوله كله، والإيمان بما جاء فيه من غير تحريف ولا ردٍّ ولا تكذيب.

والقرآن هو: كلام الله تعالى، المنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المتعبَّد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس.[2]

---

(١) [الشعراء: ١٩٢-١٩٤].

(٢) يُنظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١)، «تفسير القرطبي» (٢/ ٢٩٨)، «الواضح في علوم القرآن» لمصطفى البغا ومحيي الدين مستو (ص: ١٥)، «المحرر في علوم القرآن» لمساعد الطيار (ص: ٢٢).

۞ ومن عقيدة أهل السنة في القرآن: [1]

■ أولًا: أن القرآن كلام الله تعالى حقيقة

فالقرآن كلام الله تعالى، تكلم به حقيقة، بألفاظه ومعانيه، على الوجه اللائق بجلاله وعظمته، وليس من كلام البشر ولا من كلام أحد من خلقه. قال الإمام الأصبهاني: (أجمع المُسلِمون أنَّ القُرْآنَ كلامُ اللهِ)[2].

والدليل على ذلك:

١. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[3]؛ فأضاف الله الكلام إلى نفسه، فدل على أنه كلامه سبحانه.

٢. وقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[4]؛ فأخبر سبحانه أنه كلَّم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأكد ذلك بالمصدر:

---

(١) يُنظر: «التوحيد» لابن خزيمة (١/ ٣٣١)، «الفتاوى الكبرى» لابن تيمية (٦/ ٤٨٤)، «معارج القبول» للحكمي (١/ ٢٦٩).

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/ ١٩٣)

(٣) [التوبة: ٦]

(٤) [النساء: ١٦٤]

﴿تَكْلِيمًا﴾ فدل على ثبوت الكلام له سبحانه حقيقة.

■ ثانيًا: أن القرآن منزل من عند الله تعالى:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إجماع الصحابة والتابعين وجميع أهل السنة وأئمة الفقه على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق)[1] ومما يدل على ذلك:

* قوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾[2]
* وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[3]
* وقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[4]

فنزل به جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من عند الله على قلب محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان أمينًا على الوحي، مبلغًا له عن ربه، لا متكلمًا به من عند نفسه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ

(١) ينظر: المنار المنيف (ص ١١٤)
(٢) [الإنسان: ٢٣]
(٣) [الدخان: ٣]
(٤) [الشعراء: ١٩٣-١٩٤]

﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾[1]، وبلَّغه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للناس كما أنزله الله، والقرآن وحي من الله، وليس من كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[2]

■ ثالثًا: أن القرآن غير مخلوق

فالقرآن كلام الله تعالى، وكلامه سبحانه صفة من صفاته، وصفاته غير مخلوقة؛ ولذلك كان من عقيدة أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

* وقال إسحاقُ بنُ راهَوَيهِ: (ليس بين أهلِ العِلمِ اختِلافٌ أنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ ليس بمخلوقٍ)[3].

* وقال أبو حاتمٍ وأبو زُرعةَ: (أدرَكْنا العُلَماءَ في جميعِ الأمصارِ، فكان من مَذهَبِهم أنَّ الإيمانَ قَولٌ وعَمَلٌ يزيدُ ويَنقُصُ، والقُرْآنَ كَلامُ اللهِ غَيرُ مخلوقٍ)[4].

---

(١) [التكوير: ١٩-٢١]

(٢) [سورة النجم: الآيات ٣-٤]

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (ص: ١٧٩).

(٤) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ١٩٨)، والذهبي في «العلو» (ص: ١٨٨).

منهج أهل السنة في الاستدلال ونفي التأويل المذموم

٦. وَأَقُـــولُ: قَـالَ اللهُ جَـلَّ جَـلَالُـهُ
وَالْـمُـصْـطَـفَـى الْـهَـادِي وَلَا أَتَـأَوَّلُ

الشرح

يقـرر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا البيـت أصلين عظيمين من أصول أهل السنة والجماعة في باب الاعتقاد:

۞ الأصل الأول: الرجوع إلى الكتاب والسنة.

فقوله: (وأقول: قال الله جَلَّ جَلَالُهُ، والمصطفى الهادي) أي: أن مرجعي فيما أعتقده وأدين الله به هو ما جاء في كتاب الله تعالى، وما صح عن رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا سيما فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته وأفعاله، وسائر مسائل الاعتقاد.

■ وقد دل الكتاب والسنة والإجماع على ذلك:

فمن الكتـاب: قوله تعالـى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (١)

(١) [الحشر: ٧].

وقوله سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[1]

وأما من السنة: فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خطبة حجة الوداع: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن تمسكتم به: كتاب الله»[2]؛ فدل على أن العصمة في التمسك بالوحي؛ ثم جاء بيان السنة نصًّا في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للعرباض بن سارية: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين... عضّوا عليها بالنواجذ**»[3]

وأما من الإجماع: فقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾[4] وقد أجمع الناس على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته، وإلى سنته بعد مماته. فأمر سبحانه عباده المؤمنين أن يردُّوا ما تنازعوا فيه إليه وإلى رسوله، وخاطبهم أولًا بلفظ الإيمان، ثم جعل آخرًا الإيمان

---

(١) [النساء: ٨٠].

(٢) رواه مسلم (١٢١٨)

(٣) [رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح].

(٤) [النساء: ٥٩].

شـرطًا في هذا الرد، فالإيمان يوجب عليهم هذا الرد، وينتفي عند انتفائه، فمَن لم يردَّ ما تنازع فيه هو وغيره إلى الله ورسوله لم يكن مؤمنًـا) [1] فأهل السـنة لا يجعلون عقولهم حاكمةً على نصوص الوحـي، ولا يثبتون في باب الاعتقاد مـا لا دليل عليه، بل يؤمنون بما جاء عن الله ورسـوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقبلونه على الوجه الذي يليق بالله تعالى.

۞ الأصل الثاني: عدم صرف نصوص الوحي عن معانيها بلا دليل

فقوله: (ولا أتأول)؛ أي: لا أصرف نصوص الكتاب والسـنة عن معانيها التي دلت عليها إلى معانٍ أخرى لم يدل عليها الدليل، ولا أتكلـف حملهـا على تأويـلات بعيدة تخرجها عـن ظاهرها الذي يليق بالله تعالى.

■ والتأويل لفظٌ يُستعمل عند أهل العلم بمعانٍ مختلفة:

أولاً: فقـد يـراد بـه التفسـير وبيان المعنـى، وهذا اسـتعمال معروف عند السـلف، ومنه صنيع الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره، حيث يقول: «القول في تأويل قول الله تعالى...» ويريد

(١) الكلام على مسألة السماع (١/ ١١):

بذلك تفسير الآية وبيان معناها.

ثانيًا: صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر لدليل صحيح، وهذا من التفسير المقبول، كقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾[1]، فظاهر الآية قد يُفهم منه وجوب الوضوء عند كل قيام إلى الصلاة، لكن بيَّنت السنة أن المراد القيام إليها مع الحدث؛ فقد صلَّى النبي ﷺ يوم الفتح الصلوات بوضوء واحد.[2]

ثالثًا: صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر لغير دليل: فهو التأويل المذموم الذي أنكره أهل السنة.

ومن أمثلته ما ذكره العلماء في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[3]

فأهل السنة يثبتون الاستواء على الوجه اللائق بالله تعالى، ويفسرونه بالعلو والارتفاع، من غير تكييف ولا تمثيل.

---

(١) [المائدة: ٦]

(٢) كما في صحيح مسلم (٢٧٧)..

(٣) [طه: ٥].

وأما صرف الاستواء إلى معنى الاستيلاء من غير دليل يدل على ذلك، فهو من التأويل المذموم عند أهل السنة؛ لأنه صرف للفظ عن معناه المعروف في لسان العرب إلى معنى آخر لا يدل عليه السياق.

فمراد الناظم بقوله **(ولا أتأول)** ليس ترك تفسير القرآن أو بيان معانيه، وإنما مراده عدم صرف نصوص الوحي عن معانيها بغير دليل، ولا سيما نصوص الأسماء والصفات.

وخلاصة منهج أهل السنة: أنهم يثبتون ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ويجعلون الوحي هو الأصل الذي تُرد إليه مسائل الاعتقاد.

❋❋❋

منهج أهل السنة في آيات الصفات

٧. وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أُمِرُّهَا
حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الْأَوَّلُ

٨. وَأَرُدُّ عُهْدَتَهَا إِلَى نُقَّالِهَا
وَأَصُونُهَا عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

الشرح

لما قرر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في البيت السابق أن مرجعه في الاعتقاد هو كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونفى التأويل المذموم، بيَّن هنا منهجه في نصوص الصفات على وجه الخصوص، فذكر أصلين:

۞ الأصل الأول: إمرار نصوص الصفات كما جاءت

قوله: (وجميع آيات الصفات)؛ المراد بها النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مما يتعلق بأسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله؛ كاستوائه على عرشه، ووجهه، ويديه، وغضبه ورضاه، ومجيئه ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾(١)

وقال سبحانه: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾(٢)

وقال تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾(٣)

وقال سبحانه: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾(٤)

وقال سبحانه: ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾(٥)

وقال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾(٦)

وقوله **(أُمِرُّهَا حَقًّا)** أي: أؤمن بها وأثبتها كما جاءت، على الوجه اللائق بالله تعالى، من غير تحريف لمعانيها، ولا تعطيل لمدلولها، ولا تكييف لكيفيتها، ولا تمثيل لها بصفات المخلوقين.

وقوله: **(كما نقل الطراز الأول)**؛ أي: كما تلقاها الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن تبعهم من القرون المفضلة، فآمنوا بها وأثبتوها،

---

(١) [طه: ٥].

(٢) [القصص: ٨٨]

(٣) [المائدة: ٦٤]

(٤) [الفتح: ٦]

(٥) [التوبة: ٧٢]

(٦) [الفجر: ٢٢]

ولـم يجعلـوا عقولهم حاكمـة على نصوص الوحـي، بل تلقوها بالإيمان والتسليم، مع تنزيه الله تعالى عن مماثلة خلقه.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]

فجمع الله تعالى في هذه الآية بين نفي المماثلة وإثبات الصفات؛ فنفى مماثلة المخلوقين عنه، وأثبت لنفسه السمع والبصر.

۞ الثانـي: ردُّ نصـوص الصفات إلى مـا جاء عن السـلف وصيانتها عن التخيّلات

قولـه: **(وأردُّ عهدتهـا إلـى نقَّالهـا)**؛ أي: أرجـع في فهم هذه النصـوص إلى ما جاء عن رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومـا نُقل عن أصحابـه والتابعين وأئمة الهدى من بعدهـم، ولا أتكلف فيها ما لم يدل عليه الكتاب والسنة.

وقولـه: **(وأصونها عن كل ما يتخيَّـل)**؛ أي: أصون نصوص الصفـات عن الأوهام والتصورات الباطلة؛ فلا أشـبِّه صفات الله بصفات خلقه، ولا أنفي ما أثبته الله لنفسه، ولا أصرف النصوص عن معانيها بلا دليل صحيح.

---

(١) [الشورى: ١١]

فليس المقصود من إثبات الصفات أن يتخيل المسلم كيفية صفات الله تعالى؛ فإن الكيفية لا يعلمها إلا الله، كما أن إثبات الصفة لا يستلزم مماثلتها لصفات المخلوقين.

■ ومن قواعد أهل السنة في نصوص الصفات:

١. إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل.

٢. نفي ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ، مع اعتقاد كمال ضده؛ فلا يقتصر أهل السنة على مجرد النفي، بل يثبتون لله تعالى كمال الضد. قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[١]، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في الحديث القدسي **(يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا)**[٢]، فنفى الله تعالى عن نفسه الظلم، ويُثبت له كمال العدل؛ إذ لا يظلم ربنا سبحانه أحدًا، قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.[٣]

---

(١) [الشورى: ١١]

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٣) [فصلت: ٤٦].

٣. عدم السؤال عن كيفية صفات الله؛ فلا يقال: كيف استوى؟ ولا كيف يده؟ لأن كيفية صفاته سبحانه لا يعلمها إلا هو.

٤. ردُّ ما أشكل في هذا الباب إلى الكتاب والسنة، وما جاء عن الصحابة والسلف، وعدم بناء العقيدة على مجرد التخيلات العقلية.

ومن أشهر ما رُوي عن الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لما سُئل عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[(١)]، فقيل له: كيف استوى؟ فقال: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)[(٢)] وقد رُوي هذا الأثر بألفاظ متقاربة

---

(١) [طه: ٥].

(٢) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (٦٦)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة(٣/ ٤٤١)، وقال الذهبي في العلو (١٣٩): «هذا ثابت عن مالك». وهو ثابت أيضًا عن ربيعة الرأي، شيخ مالك» وساقه الذهبي في العلو (١٢٩) بإسناده إلى ربيعة، وصححه الألباني في مختصر العلو (١٣٢)].وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥/ ٤٠): «وروى الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات عن سفيان بن عيينة، قال: سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن ... « فذكره. وقال أيضًا في مجموع الفتاوى (٥/ ٣٦٥): «ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك». وروي نحوه عن أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا، [أخرجه الصابوني في عقيدة السلف (١٧٨ - ١٧٩)] لكنه غير ثابت عنها من طريق صحيح.، قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥/ ٣٦٥): «وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا، موقوفًا ومرفوعًا، ولكن ليس إسناده =

عن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، واشتهر عند أهل السنة، وهو يبين الجمع بين إثبات الصفة، والإيمان بها، ونفي العلم بكيفيتها.

ورُوي عن نعيم بن حماد الخزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (من شبَّه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه).[1]

فمنهج أهل السنة وسط بين طرفين: إثباتٌ بلا تمثيل، وتنزيهٌ بلا تعطيل؛ يثبتون ما أثبته الله لنفسه، وينزهونه عن مشابهة خلقه، ولا يتكلفون معرفة كيفية صفاته سبحانه.

❋❋❋

= مما يعتمد عليه» وقال الذهبي في العلو (٨١): «هذا القول محفوظ عن جماعة، كربيعة الرأي، ومالك الإمام، وأبي جعفر الترمذي، فأما عن أم سلمة فلا يصح». وللدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر كتاب بعنوان: الأثر المشهور عن الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صفة الاستواء، دراسة تحليلية.»

(١) ينظر: الْعُلُوّ للذهبي ص«١٢٦».

منهج أهل البدع في الاستدلال

٩. قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ الْقُرْآنَ[١] وَرَاءَهُ

وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ: قَالَ الْأَخْطَلُ[٢]

الشرح

قوله (قُبْحًا) أي: بُعدًا وسوءًا لمن فعل ذلك.

وقوله: (لِمَنْ نَبَذَ القُرآنَ وَرَاءَهُ) أي: لمن أعرض عن كتاب الله، ولم يجعله الأصل الذي يرجع إليه في تقرير مسائل الاعتقاد.

وقوله: (وإذا استدل يقول: قال الأخطل) تعريضٌ بمن يترك دلالة القرآن والسنة، ثم يستدل على بعض مسائل الاعتقاد بأقوال أهل اللغة أو الشعر، ولو كان القول المنقول لا يثبت، أو لم يكن فيه حجة على المعنى الذي يريده.

والأخطل هو غياث بن غوث التغلبي، وكان نصرانيًا، ومن أشهر شعراء العصر الأموي.

---

(١) وفي نسخة: (قُبْحٌ لِمَنْ نَبَذَ الْكِتَابَ) والمعنى واحد؛ إذ المراد بالكتاب هنا القرآن نفسه.

(٢) البيت سقط من نسخة ابن بلهيد .

۞ المراد بالاستشهاد ببيت الأخطل:

اشتهر في بعض كتب اللغة والاحتجاج اللغوي الاستشهاد ببيت يُنسب إلى الأخطل:

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الـعِرَاقِ

مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقِ

واستُعمل هذا البيت في الاستدلال على إطلاق لفظ (استوى) بمعنى استولى، ثم جرى الاستدلال به في تأويل قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[1]

وقد ناقش شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الاستدلال، وبيَّن أن حمل الاستواء في الآية على الاستيلاء لا يثبت بهذا البيت، وأن الاستواء الوارد في النصوص لا يصح صرفه عن معناه المعروف بلا حجة.[2]

■ والجواب عن هذا الاستدلال من وجوه:

أولًا: أن الاحتجاج في العقيدة إنما يكون بالكتاب والسنة، وما

---

(١) [طه: ٥].

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٤٦) زاد المسير (٢/ ١٢٨).

دل عليهما من الأدلة الصحيحة، وليس بكلام منسوب لشاعر.

ثانيًا: أن البيت المنسوب إلى الأخطل لا يصح أن يُجعل وحده حجةً في تفسير كلام الله تعالى، ولا سيما في مسألة من مسائل الاعتقاد؛ إذ لا بد من ثبوت اللفظ أولًا، ثم صحة دلالته على المعنى المدعى ثانيًا.

ثالثًا: ومن بطلان تفسير الاستواء بالاستيلاء: أن الاستيلاء يتضمن معنى الغلبة والقهر، والله سبحانه لم ينازعه أحد في ملكه، بل هو المالك لكل شيء والقاهر فوق عباده. كما أن الاستيلاء عام لجميع المخلوقات، فلو كان الاستواء بمعنى الاستيلاء، لم يكن لتخصيص العرش بالذكر وجه ظاهر.

ولهذا كان منهج أهل السنة في هذا الباب إثبات ما أخبر الله به عن نفسه، على الوجه اللائق به، من غير تحريف ولا تعطيل، مع اعتقاد أن الله تعالى ليس كمثله شيء.

فحاصل البيت: ذمُّ من أعرض عن الوحي، ثم جعل أقوال الرجال وأشعارهم أصلًا يُبنى عليه الاعتقاد؛ فالواجب أن تكون العقيدة مبنية على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مع فهم النصوص على ما جاء عن الصحابة والسلف.

وهـذا متصل بمـا قـرره الناظـم في الأبيـات السـابقة: إمرار نصوص الصفات كما نقلها السـلف، وردُّها إلى ما جاء عن أهل العلم والنقل، وصيانتها عن التأويلات والتخيلات الباطلة.

تنبيه:

ليس المقصود ذمَّ الاسـتفادة من كلام أهل اللغة أو الشعر في بيـان معاني الألفـاظ؛ فهذا باب من أبواب التفسـير واللغة، وإنما المذمـوم أن يُـترك الدليل الشـرعي، ويُجعل كلام البشـر حاكمًا عليه، أو يُستدل بشاهد لا يثبت أو لا يدل على المدعى.

❊❊❊

إثبات رؤية الله تعالى ونزوله

١٠. وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقًّا رَبَّهُمْ
وَإِلَى السَّمَاءِ[١] بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ

الشرح

لما قرر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ منهج أهل السنة في نصوص الصفات، وبيَّن وجوب قبول ما جاء في الكتاب والسنة، ذكر هنا مسألتين من مسائل الاعتقاد، وهما: رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، ونزول الله تعالى؛ فأثبتهما كما جاءا في النصوص، مع نفي العلم بكيفيتهما.

المسألة الأولى: رؤية الله تعالى[٢]

قوله: (والمؤمنون يرون حقًّا ربهم)؛ أي: يرون ربهم سبحانه يوم القيامة رؤيةً حقيقية بأبصارهم، من غير إحاطة ولا تكييف.

---

(١) وفي نسخة المرداوي: (وإلى السماءِ الدنيا)، ولعل لفظة (الدنيا) من الشرح أو من زيادات النساخ؛ إذ لا يستقيم النظم بإثباتها.

(٢) ينظر: رؤية الله لابن النحاس (ت ٤١٦ هـ)، والرؤية للدارقطني (ت ٣٨٥ هـ)، ورؤية الله في الآخرة لمحمد حسن عباس في تحرير الأدلة والشبهات.

■ ورؤية الله تعالى في الآخرة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع:

١. قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[١] فأثبت الله تعالى لأهل الإيمان النظر إلى ربهم، وحمل الآية على ظاهرها هو المتبادر من سياقها.

٢. قوله تعالى في الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾[٢] وقد استدل أهل السنة بهذه الآية على إثبات الرؤية؛ لأن تخصيص الكفار بالحجاب يدل على أن المؤمنين ليسوا محجوبين عن ربهم.

٣. حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تُضامُّون في رؤيته...)[٣] والتشبيه في الحديث إنما هو في وضوح الرؤية وعدم الازدحام أو المشقة فيها، وليس تشبيه الله تعالى بالقمر، ولا تشبيه رؤيته برؤية المخلوق؛ فالله سبحانه

---

(١) [القيامة: ٢٢-٢٣]

(٢) [المطففين: ١٥].

(٣) رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1]

وقد نقل الإجماع على وقوعها للمؤمنين جماعة من أئمة أهل السنة، منهم الإمام أحمد، والدارمي، وابن خزيمة، وأبو الحسن الأشعري، وابن أبي زيد القيرواني، وغيرهم. وقد ذكر النووي أن مذهب أهل السنة بأجمعهم ثبوت الرؤية ووقوعها في الآخرة للمؤمنين.[2]

المسألة الثانية: نزول الله تعالى[3]

قوله: **(وإلى السماء بغير كيف ينزل)**؛ أي: ينزل ربنا سبحانه إلى السماء الدنيا نزولًا حقيقيًّا يليق بجلاله وعظمته، من غير تكييف ولا تمثيل.

ودليله: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) [الشورى: ١١]

(٢) ينظر: رؤية الله في الآخرة لمحمد حسن عباس ص ٨٥ . فقد نقل فيه ثمانية عشر إجماعًا في ثبوت رؤية الله تعالى للمؤمنين في الآخرة.

(٣) ينظر: كتاب النزول للدارقطني، وشرح حديث النزول لابن تيمية ، وصفة النزول الإلهي ورد الشبهات حولها لعبد القادر بن محمد الغامدي دراسة معاصرة مستفيضة. (طبعة جامعة أم القرى)، وهي دراسة أكاديمية موسعة (تقع في نحو ٦٩٠ صفحة) استوعبت المباحث العقدية والحديثية واللغوية المتعلقة بالمسألة.

قال: **(ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)**[1]

فأثبت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النزول لله تعالى، وأخبر عن تعلقه بثلث الليل الآخر، فيُؤمن به كما جاء، من غير تشبيه ولا تكييف.

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات نزول الله تعالى نزولًا يليق بجلاله وعظمته، ونقل الإجماع على ذلك جماعة من أئمة السنة، منهم الأوزاعي، والترمذي، والدارمي، وابن عبد البر، وابن تيمية، وغيرهم.[2]

ولا يلزم من إثبات النزول أن نعلم كيفيته؛ فالكيفية من الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه، كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في الاستواء: «والكيف غير معقول»، والمعنى في سائر الصفات كذلك: نثبت ما أخبر الله به عن نفسه، ولا نتكلف السؤال عن كيفيته.

---

(١) رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

(٢) ينظر: صفة النزول الإلهي ورد الشبهات حولها لعبد القادر الغامدي (ص ٢٢٣). وقد نقل فيه عن أكثر من تسعة عشر إمامًا نقلوا الإجماع على إثبات صفة النزول لله تعالى.

فحاصل البيت: أن رؤية الله تعالى في الآخرة، ونزوله سبحانه إلى السماء الدنيا، حق ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، يؤمن به أهل السنة على الوجه اللائق بالله تعالى، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ فهما من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها، ولا تُقاس صفات الله تعالى بصفات خلقه.

❋❋❋

إثبات الميزان والحوض

١١. وَأُقِـرُّ بِالْمِيـزَانِ وَالْحَـوْضِ الَّـذِي
أَرْجُـــو بِـأَنِّـي مِـنْـهُ رِيًّـا أَنْـهَـلُ

الشرح

يُثبت الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا البيت الميزان والحوض، وهما من أمور الغيب التي جاءت بها النصوص الصحيحة، فيجب الإيمان بهما على الوجه الذي جاءت به النصوص، من غير تكلف في كيفية ذلك أو تفاصيل لم يثبت بها دليل.

أما الميزان: [١] فهو ميزان حقيقي ينصبه الله تعالى يوم القيامة، وتُوزن فيه الأعمال، وقد دل الكتاب والسنة والإجماع على ثبوت الوزن يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [٢].

---

(١) ينظر: أحاديث ميزان العمل للعلائي، والميزان في الشريعة الإسلامية للدكتور محمد درازي (رسالة دكتوراه)، والميزان في الآخرة للشمراني، وبحث منشور في مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية بعنوان (الميزان وحقيقته عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم) د. علي بن جابر العلياني.

(٢) [الأنبياء: ٤٧].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨﴾ (١)

وقد نقل أبو إسحاق الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ إجماع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن للميزان لسانًا وكفتين ويميل بالأعمال.(٢) وهذا النقل مهم؛ لأنه يبين أن أصل الإيمان بالميزان وما ذكره من صفته كان مقررًا عند أهل السنة.

وقد ثبتت الكفتان في السنة صراحة، ففي حديث صاحب البطاقة أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ) (٣)

وأما اللسان، فقد نُقل إثباته عن بعض أهل العلم والسلف،

---

(١) [الأعراف: ٨-٩].

(٢) ينظر: فتح الباري (١٣/ ٣٨٥). و(الميزان وحقيقته عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم) د. علي بن جابر العلياني. فقد نقل عن جماعة من العلماء حكاية الإجماع على إثبات الميزان، منهم أبو الحسن الأشعري، وأبو حاتم وأبو زرعة الرازيان، والسفاريني وغيرهم. وينظر أيضًا: الإيمان باليوم الآخر وأثره على الفرد والمجتمع، ص ٤١١.

(٣) [رواه الترمذي (٢٦٣٩) وحسّنه، وأحمد (٦٩٩٤)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦) وصححه على شرط مسلم، ووافقه الإمام الذهبي.، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا]،

ومن ذلك ما حكاه الزجاج عن أهل السنة، فلا يُنكر ما ثبت نقله عن أئمة أهل السنة، مع التنبيه إلى أن تفصيل هيئة الميزان وكيفية عمله من أمور الغيب التي لا نعلم حقيقتها.

■ وقد دلت النصوص على أن الذي يوزن ثلاثة أشياء:

الأمر الأول: يوزن العمل الذي يعمله الإنسان، كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده**»(١)

والأمر الثاني: العامل نفسه يوزن، كما جاء في الصحيحين أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، واقرؤوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾**»(٢)

والأمر الثالث: توزن صحائف الأعمال، كما جاء في حديث صاحب البطاقة [تقدم تخريجه]، وأما هل الميزان واحد أم

---

(١) [رواه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤)]

(٢) [الكهف: ١٠٥]، [رواه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥)]

متعـدد؟ فقد ورد في القرآن ذكر الموازيـن بالجمع، كما ورد ذكر الميزان بالمفرد. وقد رجح الشـيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الميزان واحـد، وأن الجمع في قوله تعالـى: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ باعتبار المـوزون، فقال: (الذي يظهـر -والله أعلـم- أن الميزان واحد، وأنه جمع باعتبار الموزون) [1]

وليس الشأن أن يعرف طالب العلم الخلاف في هذه المسائل فحسـب - كالتنقيـب عن عـدد كفاته، أو هل هو ميـزان واحد أم موازيـن متعـددة - بل الشـأن كل الشـأن، والغايـة العظمى: هي الاتعـاظ والاعتبـار، والوجل من ذلك الموقـف العصيب؛ حين تنكشـف الحقائق، وتتطاير الصحف، وتوضع الموازين القِسط. فالشـقيُّ مَن خفـت موازينه، والسـعيد الفائز مَن ثقلـت موازينه بالحسـنات والعمل الصالح، فاعمر وقتك بما يثقل ميزانك غداً، ودع عنك فضول التوسع الذي لا يبني عملاً .

وأما الحوض: [2] فقد اسـتفاضت نصوص السـنة واشتهرت

(١) [مجموع الفتاوى والرسائل، ٨/ ٤٩٩].

(٢) ينظر: الأحاديث المختارة للضياء المقدسي، وكتاب القول المورود في حوض النبي المورود لجلال الدين السيوطي، وبحث حديث الحوض: دراسة عقدية منهجية للدكتور عبد الله الشايع.

وتواترت في الحديث عن الحوض المورود وصفاته وأخباره فهو حوض نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أكرمه الله به يوم القيامة، وقد ثبتت في السنة صفاته، فمن ذلك أنه مسيرة شهر، وماؤه أبيض من اللبن، وريحُه أطيب من المسك، وكيزانه كعدد نجوم السماء، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبدًا.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا) (١)

وثبت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا...) (٢)

و نقل الإمام ابن تيمية اتفاق أهل السنة والجماعة على هذا الأصل العظيم فقال: «وما أخبر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أمر الجنة والنار .. والحوض، فإن هذه الأصول كلها متفق عليها بين أهل السنة والجماعة».

---

(١) رواه البخاري ٦٥٧٩ ومسلم ٢٢٩٢

(٢) رواه البخاري ٦٥٨٣ ومسلم. ٢٢٩٠

وقال الإمام الأشعري في بيان إجماعات أهل السنة:» وعلى أن لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حوضاً يوم القيامة ترده أمته لا يظمأ من شرب منه، ويذاد عنه من بدل وغيَّر بعده»، وقال في موضع آخر: «قال أهل السنة والاستقامة: إن للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -حوضاً يسقي منه المؤمنين، ولا يسقي منه الكافرين». (١)

وقوله: (أَرْجُو بِأَنِّي مِنْهُ رِيًّا أَنْهَلُ) أي: أرجو أن أكون ممن يَرِدُ حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيشرب منه شربًا يذهب عنه الظمأ.

وفي البيت مناسبة لطيفة بين الأمرين:

* **فالميزان:** يتعلق بمصير عمل الإنسان، وما يترتب عليه من ثقل الحسنات أو خفتها.

* **والحوض:** يتعلق بكرامة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفضل الله على أهل الإيمان، وبالورود والشرب والنجاة.

ثم إن الناظم لم يذكر الحوض مجرد ذكر، وإنما قال: (أَرْجُو بِأَنِّي مِنْهُ رِيًّا أَنْهَلُ) فانتقل من الإقرار بالعقيدة إلى الرجاء والعمل؛

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٤٨٦) ١١/ ٤٨٦، رسالة إلى أهل الثغر، ص (١٦٥)، مقالات الإسلاميين ص (٢/ ٣٥٤).

فكأنه يقول: أؤمن بهذا الغيب، وأرجو أن أكون من أهله.

وهذا يعطي البيت بُعـدًا تربويًا جميلًا: فالإيمان بالغيب ليس معلومـات مجردة، بل يـورث خوفًا ورجاءً واسـتعدادًا للقاء الله تعالى.

حاصل البيت: يجب الإيمان بالميزان والحوض كما جاءت بهمـا النصوص، وإثبات ما ثبت من صفاتهمـا، من غير تكلف في كيفيـة ذلـك، أو إثبات تفاصيـل لم يثبت بها دليـل، وأن يثمر هذا الإيمان رجاءً صادقًا واستعدادًا للقاء الله تعالى.

❋❋❋

عقيدة أهل السنة والجماعة في الصراط

١٢. وَكَذَا الصِّرَاطُ[١] يُمَدُّ فَوْقَ جَهَنَّمٍ[٢]
فَمُسَلَّمٌ[٣] نَاجٍ وَآخَرُ مُهْمَلُ

الشرح

كما قرر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأبيات السابقة الإيمان بالميزان والحوض، يقرر هنا الإيمان بالصراط، وكأن الناظم يشير بترتيب الأبيات إلى أن الحوض يكون قبل الصراط، وقد جاء ذكر الحوض ثم الصراط هكذا في العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والصراط من أمور الغيب التي ثبتت بالكتاب والسنة والإجماع، فيجب الإيمان به على ما جاءت به النصوص، من غير تكييف ولا تكلف في تفاصيل لم يثبت بها دليل.

---

(١) وفي نسخة: (وصراطٌ يُمَدُّ)، ويظهر أنه تصحيفٌ من الناسخ؛ والصواب) وكذا الصراطُ يُمَدُّ (لاستقامة السياق والنظم.

(٢) قوله (جهنم) ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث، وقد صُرفت هنا للضرورة الشعرية.

(٣) وفي نسخة جلاء العينين: (فموحد) .

يقول الإمام أبو الحسن الأشعري: (وأجمعوا على أن الصراط، جسر ممدود على جهنم، يجوز عليه العباد بقدر أعمالهم، وأنهم يتفاوتون في السرعة والإبطاء على قدر ذلك)[1]، وقد جاء في حديث الشفاعة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (ثم يُؤتى بالجسر فيُجعل بين ظهري جهنم)، فسُئل عنه فقال: (مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عليه خطاطيف وكلاليب...)[2]

وقد دل القرآن على الورود على النار، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾[3] وقد فسر جماعة من السلف الورود بالمرور على الصراط، والآيتان تدلان على ورود الناس ثم نجاة أهل التقوى.

وتتفاوت أحوال الناس في المرور عليه؛ فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم كالريح، ومنهم كالطير، ومنهم كأجاويد الخيل والركاب،

---

(١) ينظر: رسالة إلى أهل الثغر، ص (١٦٣) وقد نقل الإجماع على إثبات الصراط غير واحد من أهل العلم، منهم أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان، والنووي، وغيرهم. ينظر: الإيمان باليوم الآخر وأثره على الفرد والمجتمع، ص ٤٨٧.

(٢) رواه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣).

(٣) [مريم: ٧١-٧٢]

ومنهم من يمر دون ذلك، حتى يعجز بعضهم عن المرور إلا زحفًا. قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(فيمر أولكم كالبرق، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وشد الرجال، تجري بهم أعمالهم...)**[1] وهذا التفاوت مرتبط بأعمال العباد، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **(تجري بهم أعمالهم)**؛ فليس الناس فيه على منزلة واحدة.

وعلى الصراط خطاطيف وكلاليب تخطف الناس بحسب أعمالهم، ففي الحديث: **(فناجٍ مُسَلَّمٌ، ومخدوشٌ مُرْسَلٌ، ومكدوسٌ في نار جهنم)**[2]، فالمارون عليه ثلاثة أحوال: ناجٍ سالم، ومخدوش يصيبه الأذى ثم ينجو، ومنكوب يسقط في النار. نسأل الله السلامة والعافية.

وأما وصف الصراط: فقد قال أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (بلغني أن الجسر أدق من الشعرة، وأحد من السيف)[3]

ومن أحوال ذلك اليوم أن الله تعالى يجعل للمؤمنين نورًا يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، قال سبحانه: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ

---

(١) رواه مسلم (١٨٣).

(٢) رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم(١٨٣)

(٣) رواه مسلم (١٨٣)

﴿وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾[1] .

وقد جاء عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً في تفاوت أنوار المؤمنين يوم القيامة أنه قال: (يُجْمَعُ الناسُ يومَ القيامةِ ..) إلى أن قال: (فيُعْطَوْنَ نُورَهم على قَدْرِ أعمالِهم، وقال: فمنهم مَن يُعْطَى نُورَه مِثْلَ الجبلِ بينَ يَدَيْهِ، ومنهم مَن يُعْطَى نُورَه فوقَ ذلك، ومنهم مَن يُعْطَى نُورَه مِثْلَ النخلةِ بيمينِه، ومنهم مَن يُعْطَى دون ذلك بيمينِه، حتى يكونَ آخِرُ مَن يُعْطَى نُورَه على إبهامِ قَدِمِه، يُضِيءُ مَرَّةً ويُطْفِئُ مَرَّةً، وإذا أضاء قَدَّمَ قَدَمَه، وإذا طَفِئَ قام، قال فيَمُرُّ ويَمُرُّونَ على الصراطِ، والصراطُ كحَدِّ السَّيْفِ، دَحْضٌ، مَزَلَّةٌ، فيُقالُ لهم، امْضُوا على قَدْرِ نورِكم، فمنهم مَن يَمُرُّ كانْقِضاضِ الكوكبِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كالرِّيحِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كالطَّرْفِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كشَدِّ الرَّحْلِ، يَرْمُلُ رَمَلًا، فيَمُرُّونَ على قَدْرِ أعمالِهم، حتى يَمُرَّ الذي نورُه على إبهامِ قَدَمِه، تَخِرُّ يَدٌ، وتَعْلَقُ يَدٌ، وتَخِرُّ رِجْلٌ، وتَعْلَقُ رِجْلٌ، وتُصِيبُ جوانبَه النارُ فيَخْلُصُونَ، فإذا خَلَصُوا قالوا: الحمدُ للهِ الذي نَجَّانا منكِ بعدَ أن

---

(١) [الحديد: ١٢]

أَرَانَاكِ، لقـد أعطانا اللهُ ما لم يُعْطَ أَحَدٌ)[1] وهذا يبين حاجة العبد إلى الثبات والنور يوم القيامة، وأن عليه أن يسعى في الدنيا إلى ما يكون له نورًا ونجاة في الآخرة.

وفي قولـه تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ تذكير بأن المؤمن بحاجـة إلى نـور الله وتوفيقـه، وأن الأعمال الصالحـة من أعظم أسباب النجاة.

وفي قوله: (فَمُسَلَّمٌ نَاجٍ وَآخَرُ مُهْمَلُ) ذكر الناظم طرفي أحوال المارين: الناجي السـالم، ومن لا يسـلم فيسـقط، ويدخل بينهما من يُخدش ثم ينجو.

فائـدة تربوية: من تأمل الصراط علم أن العبد أحوج ما يكون إلى الإيمـان والعمل الصالـح والثبات؛ فليجعل المسـلم حياته الدنيـا زادًا لذلـك اليـوم، وليكثـر من سـؤال الله تعالى السـلامة والثبات، فإن النجاة بفضله ورحمته.

---

(١) أخرجـه الحاكـم في «المسـتدرك علـى الصحيحيـن» (٢/ ٤٠٨) (٣٤٢٤)، واللفظ لـه، والبيهقي في «البعـث والنشـور» (٣٩٩)، والدارقطني في «رؤيـة الله» (١٦٢)، وابن نصر في «تعظيـم قدر الصلاة»، بلفظ مقارب. وصححه الألباني.

حاصل البيت: الإيمان بالصراط، وأنه جسر على جهنم، وأن الناس يتفاوتون في المرور عليه، فمنهم الناجي السالم، ومنهم من يصيبه الأذى ثم ينجو، ومنهم من يسقط في النار، وكل ذلك داخل في عدل الله وحكمه.

❊❊❊

إثبات النار والجنة

١٣. وَالنَّـارُ يَصْلَاهَـا الشَّـقِيُّ بِحِكْمَـةٍ
وَكَـذَا التَّقِيُّ إِلَـى الْجِنَانِ سَـيَدْخُلُ (١)

الشرح

لمـا فرغ الناظـم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من ذكـر الصـراط وعبور النـاس عليه، بيّـن في هـذا البيت مآل الفريقيـن؛ فالنار يصلاها الشـقي بحكمة الله وعدله، والتقي يدخل الجنان بفضل الله ورحمته؛ فالبيت تمام مشهد الصراط: فالناجي منه انتهى إلى الجنة، والمُهْمَل هوى إلى النار.

وبيـن الصراط والجنـة قنطرة؛ قـال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُـونَ مِـنَ النَّارِ حُبِسُـوا بِقَنْطَـرَةٍ بَيْـنَ الْجَنَّةِ وَالنَّـارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِـمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِـي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّـوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّـةِ) (٢) فليحذر العبد مظالم العباد، وليبادر إلى التحلل منها قبل ذلك الموقف.

---

(١) وفي نسـخة: (فَيَدْخُلُ)، ويظهر أنه تصحيفٌ من الناسـخ؛ لمخالفته الرواية المثبتة في سائر النسخ، وقد سقط هذا البيت من نسخة ابن بلهيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) رواه البخاري (٦٥٣٥).

وقوله (يَصْلاها) أي: يدخلها ويصطلي بحرها، وقوله (الشقي) ضد السعيد، والتقي هو المتقي لله تعالى، و(الجنان) جمع جنة، وهي دار النعيم التي أعدها الله لعباده المؤمنين.

وقوله: (بحكمة) يشمل الأمرين؛ لكن مقتضى الحكمة في كل واحد منهما بحسبه؛ ففي إيصال الشقي إلى النار عدل، فلا يعذب سبحانه أحدًا بغير ذنب، ولا يعذب حتى تقوم عليه الحجة، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[1]، وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[2]

وأما إدخال التقي الجنة فهو من فضل الله ورحمته؛ إذ لا يدخلها العبد بمجرد عمله، وإنما يدخلها برحمة الله وفضله، وإن كان العمل سببًا لدخولها؛ قال رسول الله ﷺ: (سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا؛ فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ. قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ)[3] فعقاب الله عدل، وثوابه فضل.

---

(١) [الإسراء: ١٥]

(٢) [فصلت: ٤٦].

(٣) متفق عليه؛ البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦).

المسألة الأولى: أن الشقي يصلى النار

والدليل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ﴾[1].

وقولـه: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾[2]؛ فلفظ (الشقي) في البيت مأخوذ من لفظ الآية الأولى.

المسألة الثانية: أن التقي يدخل الجنة

والدليل قولـه تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾[3]

الجنة والنار

والجنـة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، وقد أعد الله الجنة لأوليائه، والنار لأعدائه.

* قـال تعالـى في الجنـة: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[4].

---

(١) [هود: ١٠٦]

(٢) [الانفطار: ١٣-١٤]

(٣) [هود: ١٠٨]

(٤) [آل عمران: ١٣٣]

* وقال في النار: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤﴾[1]

والجنة دار كرامة ونعيم، فيها من النعيم ما لا يخطر على قلب بشر؛ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه (أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) متفق عليه[2].

ومن نعيمها الأنهار والقصور والثمار والأزواج، قال تعالى: ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾[3]، وأعظم نعيم أهلها النظر إلى وجه الله الكريم، وقد سبق تقريره في قول الناظم: (وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقًّا رَبَّهُمْ).

وأجمع آية لنعيم الجنة هي قول الله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٧١﴾[4]

والنار دار عذاب، أعدها الله للكافرين، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا

---

(١) [البقرة: ٢٤]

(٢) البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤)

(٣) [البقرة: ٢٥]

(٤) [سورة الزخرف: ٧١]

خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾[1].

وقال سبحانه ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾[3].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قال: (لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه الآية: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾[4] فهم في مزيد من العذاب أبدا[5].

وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعيذ بالله منها كثيرا، يقول أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [6].

ومن ذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ

---

(١) [الإسراء: ٩٧]

(٢) [النساء: ٥٦]

(٣) [فاطر:٣٦]

(٤) [سورة النبأ: آية ٣٠]

(٥) (رواه الطبري في تفسيره بسند موقوف)

(٦) رواه البخاري: (٦٣٨٩)، ومسلم: (٢٦٩٠)

عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ) [١]

ومن عقيدة أهل السنة أن عصاة الموحدين من دخل منهم النار لا يخلد فيها؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [٢]، ولأحاديث الشفاعة وإخراج أهل التوحيد من النار، وفي حديث الشفاعة: (فَيُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) [٣]

فائدة:

الإيمان بالجنة والنار ليس مجرد معرفة بوجودهما، بل يثمر خوفًا ورجاءً واستعدادًا؛ فذكر النار يبعث على الحذر والتوبة، وذكر الجنة يبعث على العمل والرجاء، والمؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء.

ومن اللطائف أن الناظم قدم ذكر النار على الجنة، ولعل في

---

(١) رواه مسلم (٥٨٨).

(٢) [النساء: ٤٨]

(٣) رواه مسلم (١٨٣).

ذلك تذكيرًا بما ينبغي أن يكون عليه المؤمن من الخوف من النار والحذر من أسبابها، وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر من الاستعاذة منها كما تقدم.

❊❊❊

عقيدة أهل السنة في الحياة البرزخية

١٤. وَلِكُـلِّ حَـيٍّ عَاقِـلٍ فِـي قَـبْـرِهِ
عَـمَـلٌ يُـقَـارِنُـهُ هُـنَـاكَ وَ يُـسْـأَلُ

الشرح

يقـرر الناظـم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا البيت الإيمـان بالحياة البرزخية، وما يكون فيها من سؤال ونعيم وعذاب.

وقوله: (وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ) المراد به الإنسان الذي كان مكلفاً في الدنيا، وقوله: (فِي قَبْرِهِ) أي: في حياة البرزخ بعد الموت، وقوله: (عَمَلٌ يُقَارِنُهُ) أي: أن عمل العبد الذي قدمه في الدنيا يصاحبه بعد موته، فيرى أثره؛ فإن كان صالحًا كان سببًا للنعيم والسرور، وإن كان سيئًا كان سببًا للعذاب والحسرة. وقوله (وَيُسْأَلُ) أي: يُسأل في قبره عن ربه ودينه ونبيه.

والبـرزخ: هو الحاجز بين الشـيئين، والمراد هنـا الحياة التي تكون بين الموت وقيام الساعة. قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1]

(١) [المؤمنون: ١٠٠].

فإذا مات الإنسان انتقل من حياة الدنيا إلى حياة البرزخ، ولا يعني ذلك أن حياته البرزخية مماثلة لحياة الدنيا، بل هي حياة غيبية لها أحكامها التي أخبر الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنها.

ومن أول ما يظهر للميت من أحوال البرزخ: أن عمله يبقى معه؛ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ: أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَعَمَلُهُ؛ فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ؛ يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ) (١)

وهذا يبين معنى قوله: (عَمَلٌ يُقَارِنُهُ)؛ فكل ما سوى العمل يفارقه، وأما عمله فيبقى أثره معه.

ثم تكون فتنة القبر وسؤال الملكين؛ فيُسأل العبد عن ربه ودينه ونبيه. ففي حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أن الملكين يأتيان الميت فيسألانه: مَنْ رَبُّكَ؟ فيقول المؤمن: ربي الله، ثم يسألانه: مَا دِينُكَ؟ فيقول: ديني الإسلام، ثم يسألانه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقول: هو رسول الله. ثم يكون من أثر صدقه أن ينادى من السماء: أن صدق عبدي، فيُفرش له من الجنة، ويُفتح

(١) رواه البخاري (٦٥١٤) ومسلم (٢٩٦٠).

له باب إليها، ويأتيه من روحها وطيبها، ويُفسح له في قبره. ثم يأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: **أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، فيقول: من أنت؟ فيقول: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ.** (١)

وهذا يبين أن سؤال القبر ليس مجرد سؤال بالألفاظ، **وإنما هو فتنة وامتحان يظهر فيه ما كان عليه العبد من الإيمان واليقين والعمل.**

وأما الكافر والمنافق، فإذا سُئل عن ربه ودينه ونبيه قال: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فينادى من السماء أن كذب، فيُفرش له من النار، ويُفتح له باب إليها، ويأتيه من حرها وسمومها، ويُضيَّق عليه في قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه والثياب منتن الريح، فيقول: **أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فيقول: رب لا تقم الساعة.** (٢)

فتأمل كيف جاء العمل الصالح في صورة رجل حسن الهيئة، وجاء العمل الخبيث في صورة رجل قبيح الهيئة؛ ليعلم العبد أن عمله الذي يستخف به في الدنيا قد يكون هو أنيسه أو مصدر شقائه في البرزخ.

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٥٣)، وصححه الألباني وغيره

(٢) رواه أبو داود (٤٧٥٣) وصححه الألباني وغيره .

وثبت نعيم القبر وعذابه بالكتاب والسنة والإجماع ؛

فمن القرآن: قوله تعالى في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾[1]

فدل ذكر العرض على النار صباحًا ومساءً قبل قيام الساعة، ثم قوله: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ على عذاب البرزخ، ثم عذاب الآخرة، وقد عد ابن كثير هذه الآية أصلًا في الاستدلال على عذاب البرزخ.

فمن السنة: حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مر بقبرين فقال: **(إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ)**[2]

وأما الإجماع: فقد حكى شيخ الإسلام ابن تيمية في أكثر من موضع اتفاق أهل السنة والجماعة على الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، فقال: (العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن

---

(١) [غافر: ٤٦].

(٢) رواه البخاري (٢١٦) ومسلم (٢٩٢).

البدن وتعذب متصلة بالبدن، والبدن متصل بها.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها: أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحيانًا، فيحصل له معها النعيم والعذاب) (١)

وتتابع العلماء على حكاية إجماع الأمة على القول بعذاب القبر. (٢)

ولا يلزم أن تكون كيفية النعيم والعذاب ككيفية ما في الدنيا؛ فذلك من أمور الغيب التي لا نحيط بها علمًا.

فائدة تربوية: تأمل كيف جعل الناظم العمل قرين الإنسان في قبره؛ فالمال والأهل يرجعون، ويبقى العمل. ثم يأتي العمل الصالح في الحديث في صورة تسر صاحبها، ويأتي العمل الخبيث في صورة تسوؤه. فالسؤال الذي ينبغي أن يسبق سؤال القبر: ما العمل الذي أعددته ليكون أنيسي بعد مفارقة الدنيا؟

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى: (٣/ ٢٨٢).

(٢) ينظر: الإيمان باليوم الآخر وأثره على الفرد والمجتمع (ص٣٤٦)

ولهذا كان من أعظم أسباب الثبات أن يعمر العبد قلبه بالتوحيد، ولسانه بالحق، وجوارحه بالطاعة؛ فإن سؤال القبر إظهار لما استقر في القلب، وليس مجالًا لإنشاء جواب لم يكن العبد يعرفه في الدنيا.

حاصل البيت: الإيمان بحياة البرزخ، وبسؤال الملكين، ونعيم القبر وعذابه، وأن عمل العبد يصاحبه بعد موته، وأن ما يلقى في قبره مرتبط بما قدمه في حياته، مع الإيمان بأن تفاصيل هذه الحياة من أمور الغيب التي نؤمن بها كما جاءت، ولا نتكلف معرفة كيفيتها.

❋❋❋

مصدر هذه العقيدة

١٥. هَـذَا اعْتِقَـادُ الشَّـافِعِيِّ وَمَالِـكٍ
وَأَبُـو حَنِيفَـةَ[١] ثُـمَّ أَحْمَـدُ يَنْقُـلُ

الشرح

يختم الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ببيان أن هذا الاعتقاد ليس أمرًا مستحدثًا، وإنما هو مبني على ما كان عليه أئمة الإسلام المتقدمون، ومنهم: الإمام الشافعي محمد بن إدريس، والإمام مالك بن أنس، والإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت، والإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

وقد نُقلت عن هؤلاء الأئمة نصوص في مسائل الاعتقاد توافق ما قرره أهل السنة والجماعة من تعظيم الكتاب والسنة، وإثبات ما جاء فيهما، وترك الأهواء والبدع.

وليس المراد أن كل جزئية من جزئيات الاعتقاد قد نُقل اتفاق

---

(١) وفي نسخة (وأبي حنيفة) وكذا في نسخة جلاء العينين، وكلا الوجهين صحيح إعرابًا:
- فالرواية المثبتة في الأصل (وأبو حنيفة) على الاستئناف، و«أبو» مبتدأ، و«أحمد» معطوف عليه، وجملة «ينقل» خبرٌ عنهما؛
- ورواية (وأبي حنيفة) على العطف على «الشافعي ومالك» في صدر البيت.

الأئمة الأربعة عليها، فهذا يحتاج إلى تفصيل وتوثيق لكل مسألة، وإنما المقصود أن أصول الاعتقاد التي قررها الناظم لها أصل في منهج هؤلاء الأئمة وأقوالهم، وأنها امتداد لما كان عليه أهل السنة في القرون المفضلة.

كما أن اتفاق الأئمة في أصول السنة لا يعني عدم وقوع خلاف في بعض الجزئيات العقدية، وإنما المقصود بيان أصل المنهج وطريقته في تلقي العقيدة والاستدلال عليها.

❋❋❋

فائدة في الاتباع وترك الابتداع

١٦. فَـإِنِ اتَّبَـعْـتَ سَبِيلَهُمْ فَـمُـوَفَّـقٌ
وَإِنِ ابْـتَـدَعْـتَ فَـمَـا عَـلَـيْـكَ مُـعَـوَّلُ

الشرح

يبين الناظم أن طريق السلامة هو اتباع سبيل أهل السنة، القائم على الكتاب والسـنة وما كان عليه السلف الصالح، وليس مجرد الانتساب إلى إمام أو مذهب.

فمن اتبع الحق الذي دل عليه الدليل، وسـار على طريقة أئمة الهـدى في تعظيـم الوحـي وتقديمه علـى الأهواء، فهـو من أهل التوفيق.

وأمـا الابتـداع في الدين فهو إدخال ما ليس منـه في أمر التعبد والاعتقـاد، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(مَـن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)**.[١]

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨)

فالمسلم في باب العقيدة لا ينشئ لنفسه طريقًا جديدًا، ولا يجعل العقول أو الأذواق مقدمة على الوحي، بل يلزم ما جاء عن الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويفهمه على ما كان عليه سلف الأمة، مع اجتناب التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل.

وبهذا يظهر اتصال أول المنظومة بآخرها؛ فقد افتتحها الناظم بقوله:

يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي
رُزِقَ الهُدى مَنْ للهدايةِ يسألُ

ثم ختمها بالدعوة إلى اتباع سبيل أئمة الهدى، والتحذير من الابتداع.

وحاصل الأمر: أن صحة الاعتقاد لا تكون بكثرة الأقوال، وإنما بلزوم الوحي، واتباع السنة، والحذر من البدع، مع تعظيم ما جاء عن الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاستعداد للقاء الله تعالى.

❋❋❋

خاتمة الشرح

تم بحمد الله شرح هذه المنظومة اللامية في ستة عشر بيتًا، وما اشتملت عليه من جمل في عقيدة أهل السنة والجماعة؛ من التوحيد، ومحبة الصحابة وآل البيت، والإيمان بالقرآن كلام الله غير مخلوق، وإمرار آيات الصفات كما جاءت، ونفي التأويل المذموم، والإيمان بأحوال الآخرة؛ من الميزان والحوض والصراط، وما يكون في القبر، ثم ختم الناظم ببيان مصدر هذه العقيدة، ووجوب اتباع سبيل أئمة الهدى والحذر من الابتداع.

وقد سلكنا في هذا الشرح منهجًا واحدًا: الحكم بالدليل من الكتاب والسنة، والرجوع في فهمهما إلى ما كان عليه سلف الأمة، والإعراض عن الأهواء والآراء المخالفة للوحي؛ فإن كان هذا منهجك فقد وافقت سبيل القوم، وإن خالفته فراجع قولك وردَّه إلى الدليل.

ويا طالب العلم، ليس المقصود من هذه الأبيات أن تحفظ مسائل تُقال، وإنما أن تثمر فيك ثلاث خصال:

* **الأولى:** أن تعتقد في الله تعالى ما جاء به الوحي، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

* **الثانية:** أن تعرف قدر السلف الصالح، فتقتدي بهم في تعظيم الكتاب والسنة، وتحفظ لسانك في أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأئمة الهدى.

* **الثالثة:** أن تستعد للقاء الله تعالى، وأن تجعل إيمانك بأحوال الآخرة باعثًا على العمل؛ فالإيمان بالميزان والحوض والصراط والقبر ليس مجرد معلومات، وإنما هو إيمان يورث الخوف والرجاء والاستعداد.

فإن رأيت في هذا الشرح صوابًا فمن الله وحده، فاحمده وانتفع به، وإن رأيت فيه خطأً فردَّه بالدليل، فالحق مقصودنا جميعًا، وما كان فيه من زلل فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله منه.

اللهم ثبتنا على ما تحب وترضى، وانفعنا بما علمتنا، وزيّن عقائدنا بالاتباع، وجمّل أخلاقنا بالاقتداء، واحشرنا مع نبيك محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومع أصحابه وسلف هذه الأمة، في زمرة

من قال الله فيهم: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[1]

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

❊❊❊

(١) [الحشر: ١٠].

الفهرس

- مقدمة ٣
- تمهيد ٥
  - أولًا : سبب التسمية ٥
  - ثانيًا : عدد الأبيات ٥
  - ثالثًا : ناظمها ونسبة المنظومة إليه ٦
  - رابعًا : شروح المنظومة والعناية بها ٧
  - خامسًا : النسخ والمصادر المعتمد عليها في تحقيق النظم ٩
  - نسخة الشيخ عبدالله بن سليمان بن بلهيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ١٤
  - متن اللامية ١٥
  - شرح النظم ١٩
  - السؤال عن العقيدة وطلب الهداية ٢٠
  - صفات العالم الذي يُؤخذ عنه العلم ٢٣
  - عقيدة أهل السنة في الصحابة وآل البيت ٢٥
  - تفاضل الصحابة فيما بينهم في المراتب ٣٥
  - منهج أهل السنة في القرآن الكريم ٤٢
  - ومن عقيدة أهل السنة في القرآن ٤٥
  - منهج أهل السنة في الاستدلال ونفي التأويل المذموم ٤٨
  - منهج أهل السنة في آيات الصفات ٥٣

- منهج أهل البدع في الاستدلال ٥٩
- إثبات رؤية الله تعالى ونزوله ٦٣
- إثبات الميزان والحوض ٦٨
- عقيدة أهل السنة والجماعة في الصراط ٧٥
- إثبات النار والجنة ٨١
- عقيدة أهل السنة في الحياة البرزخية ٨٨
- مصدر هذه العقيدة ٩٤
- فائدة في الاتباع وترك الابتداع ٩٦

خاتمة الشرح ٩٨

الفهرس ١٠١

❊❊❊

